ذو النصف وجه

محمود سالم

ذو النصف وجه

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

ذو النصف وجه

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٤٢٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
حدث في حمَّام السباحة	١١
الرجل ذو النصف وجه	١٧
من هو الرجل المطلوب؟	٢٣
الدائرة الحمراء!	٢٩
مجرد واحد في الألف	٣٥
فوق البحر ... تحت النجوم	٤١
كل شيء ممكن!	٤٧
ملايين ... ملايين	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كل منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

حدث في حمَّام السباحة

جلس ستة من الشياطين في صالة الشقة الكبيرة، ومدَّ «أحمد» يده فأطفأ النور فساد ظلام خفيف ... وانطلَقَ شعاع من الضوء من خلفهم في آخر الصالة، ودارَت ماكينة السينما الصغيرة، وبدأ الفيلم يظهر على الشاشة التي علقَتها «عبلة» أمامهم.

دار الفيلم وظهر شارع في مدينة كبيرة ... وشخص يَسير، وظهر معه بعض الأشخاص ثم اختفَوا، وركب الرجل سيارة، وكان واضحًا أنه يُعاني من عرجٍ خفيف في إحدى ساقَيه، ولكن هذا لم يمنعه من السير بنشاطٍ وقوَّة ... واختفى المنظر ليبدو نفس الشخص وهو يخرج من مطعم وحوله بعض الأشخاص ... ثم فجأة يَنبطح على الأرض ... واختفى المنظر ... وظهر الرجل مرةً أخرى في ثياب الاستِحمام على شاطئ البحر ... ووضح من تكوين جسده أنه قويٌّ مفتول العضلات ... ذو وجه صارم، ونزل الرجل إلى الماء واختفى المنظر. ثم ظهر نفس الرجل في مطعم ... كان المنظر معتمًا قليلًا ... ولكن حركة الرجل كانت واضحة؛ فقد كان يتناول طعامه، وبين لحظة وأخرى يدور بعينيه في حذر، ولكن حذره لم يمنعه من تناول طعامه بشهيةٍ كبيرة وبسرعةٍ في نفس الوقت ... واختفى المنظر ثم ظهر نفس الرجل في صالة للرقص ... كان يُراقص سيدة حسناء في ثياب السهرة ... وكان يتحدث إليها دون أن يبتسم ... واختلط منظر الرجل ببقية الراقصين لحظات ثم اختفى ... ثم ظهر من جديد وهو يشقُّ طريقه بين الموائد ومعه السيدة التي كان يُراقصها ... ثم اختفى المنظر ... وظهرت صورة ثابِتة لوجهِ الرجل ... كان وجهه مُستطيلًا ذا فكٍّ قوي ... وشفتاه الغليظتان مُطبقتان في عزم ... وكان في عينيه نظرة رجلٍ قاسٍ جادٍّ ... وكانت هناك ندبة واضحة تمتدُّ من تحت عينِه إلى أسفل الوجه ... وثبتَت الصورة لحظات، ثم مَدَّ «أحمد» يده وأضاء النور.

وأوقفت «عبلة» آلة العرض، ثم انضمَّت إلى الأصدقاء وجلست. وقَف «أحمد» وفي يده ملف صغير، وقال: هذه ثالث مرة نتفرَّج فيها على هذا الفيلم ... هل تُحبُّون أن نَعرضه مرةً أخرى؟

ارتفعت أصوات بعض الشياطين قائلين: هذا يكفي ... دعنا نَسمع ما عندك!

أحمد: كما تعلمون ... أرسل إلينا «رقم صفر» ... هذا الفيلم وطلب أن نَدرسه جيدًا ... إنه لرجل شديد الأهمية في أوروبا كلها وإن كان عددٌ قليل جدًّا من الناس من يَعرف حقيقتَه ... إنه يُسيطر على عصابة من أعتى المجرمين دون أن يتمكَّن رجال البوليس في القارة كلها من إثبات علاقته بهم ... فهو يُدير عصابتَه من بعيد ... ويسيطر بها على عدد كبير من الشخصيات والشركات والبنوك ... وليس هناك من يستطيع أن يتحدَّى بطش هذا الرجل.

وسكت «أحمد» لحظات وهو يُدير بصره في الأصدقاء، ثم قال: وقد ظهر هذا الرجل أخيرًا في بيروت.

وبدأ الاهتمام على وجه الشياطين الخمسة ومضى «أحمد» يقول: ويرى «رقم صفر» أن هناك متاعب ستقع في بيروت ... وربما في المنطقة العربية ... لا أحد يَدري بالضبط ... وعلى كل حالٍ فجهات الأمن في بيروت تُراقبه، ومطلوب منَّا أن نَشترك في المراقبة، وقد أرسل لنا «رقم صفر» تقريرًا عن حياة الرجل، بالإضافة إلى هذا الفيلم الذي أرسل «رقم صفر» في طلبه من الكهف (س/ص) والذي تمَّ التقاطه في مناسَبات متعدِّدة بواسطة كاميرات سرية.

كان الجالسون هم «إلهام» و«عبلة» و«عثمان» و«خالد» و«فهد»، الذي وصَل من دمشق، كما طلب «رقم صفر» من «بو عمير» في الجزائر و«قيس» في السعودية و«رشيد» في العراق أن يكونوا على استعدادٍ للانضمام إلى الستة في أيَّة لحظة.

وبدأ «أحمد» يقرأ الملف:

> «بوزيل كيرجولاي»، في الخامسة والأربعين من عمره ... سليل أُسرة من أعرق الأسر في فرنسا ... بعد دراسته الثانوية دخل كلية «سان سير» العسكرية ... وانضمَّ إلى الجيش الفرنسي، وخدم في أماكن مُتفرقة، منها السنغال في أفريقيا، وهناك اتُّهم بجريمة قتل، وفُصِل من الجيش، فانضمَّ إلى الفِرقة الأجنبية، وهي فرقة كانت تعمل لحساب فرنسا في المُستعمَرات وتضمُّ رجالًا من مُختلِف الجنسيات يتميَّزون جميعًا بالمهارة الفائقة في القتال، وأكثرهم من الفارِّين من

بلادهم لتُهَم أو أحكام صدرت عليهم. وهرب «بوزيل» من الفرقة الأجنبية ومعه أربعة من رجالها واختفى فترة طويلة، ثم ظهر في سويسرا وفي ألمانيا وإنجلترا تحت أسماء مُختلفة. وكان ظهوره في أيِّ مكان يرتبط بوقوع عدد من حوادث السرقة أو القتل أو الاحتيال، ولكن لم يتمكَّن رجال البوليس في أي دولة من إيجاد صلة بينه وبين الجرائم التي وقعت ... أُصيب في ساقه اليُسرى إصابة تركت فيها أثرًا مما يؤدِّي إلى عرجه ... يجيد استخدام الأسلحة تمامًا ... يملك ثروة ضخمة موضوعة تحت أسماء مختلفة وأرقام سرية في عدد من البنوك، كما يملك طائرة يقودها بنفسه ... يهوى جمع التحف والآثار ويَتجر فيها ... يهوى أكلَ السمك ويُجيد طهيه.

وطوى «أحمد» الملف ثمَّ قال: هذا الرجل مطلوب منَّا مراقبته مراقبةً دقيقة ومحاولة معرفة أفراد عصابته ... وفي التاسعة ليلًا، أي بعد ربع ساعة تقريبًا من الآن، سوف يتصل بنا «رقم صفر» ليخبرنا بتحركات «بوزيل» غدًا ... وعلى ضوء هذ المعلومات سوف نضع خطة المراقبة ...

وجلس «أحمد» وقامت «عبلة» بفتح النوافذ؛ فقد كان الجو حارًّا في تلك الليلة من ليالي شهر يوليو ... وأحضرت «إلهام» زجاجات الكوكاكولا المثلجة ودارت بها على الأصدقاء، فقام «فهد» يَحمل زجاجته وخرج إلى الشرفة.

كانت شقَّتهم تقع في الدور الأخير من عمارة كبيرة في شارع «أحمد شوقي» وتُطلُّ على خليج «سان جورج»، وأخذ «فهد» يُرسل بصرَه مُمتدًّا إلى المياه السوداء البعيدة ... وكانت الريح واقفة، والبحر ساكن كأنه طبق من الزيت ... ولحقَت به «عبلة»، ثم انضمَّ إليهم باقي الأصدقاء عدا «إلهام» التي بقيت قريبة من جهاز اللاسلكي داخل الشقَّة الفاخرة.

مضَت الدقائق والشياطين الخمسة يقفون في الشرفة العريضة يتحدثون ويضحكون، وكان «فهد» أكثرهم سعادة ... فقد كانت هذه أول مهمَّة للشياطين يَشترك فيها وكان يقول ضاحكًا: أرجو ألا يُخيِّب «بوزيل» ظنَّنا ولا يفعل شيئًا؛ فقد حضرتُ للاشتراك في عمل وليس لسَماع مُحاضرة عن رجلٍ فرنسي عريق الأصل انحرف إلى حياة الإجرام.

ولم يُتمَّ «فهد» جملته حتى كانت «إلهام» تدخل عليهم وبيدِها قصاصة من الورق. وقالت: «رقم صفر» يُحييكم ويقول إن «بوزيل» سيقضي يومه في الأغلب في غرفته بفندق كارلتون، ولكنه سيَنزل قرب الظهر إلى حمَّام السباحة المُلحَق بالفُندق، ثم يقضي بعد الظهر في غرفته، وسيَخرُج في المساء ... ولا أحد يدري وجهته.

أمسك «أحمد» بالورقة التي أحضرَتها «إلهام» وقرأها مرةً أخرى ثم قال: ليس أمامنا إلا حمَّام السباحة لمراقبتِه وسنُقيم حلقتَين للمُراقبة. واحدة عند مدخل الحمَّام والثانية في الحمَّام ذاته.

قال «عثمان» مبتسمًا: أظن أنني من الحلقة الأولى.

ابتسم «أحمد» قائلًا: أنت و«فهد».

في صباح اليوم التالي كان «أحمد» و«إلهام» و«عبلة» و«خالد» يَرتدُون ثياب الاستحمام، وقد وزعوا أنفسهم ... «إلهام» و«أحمد» ... في جانب ... و«عبلة» و«خالد» في جانب آخر ... بينما وقف «فهد» و«عثمان» خارج الفندق في انتظار حضور «بوزيل» ورجاله.

كان الحمَّام مُزدحمًا بعدد كبير من الروَّاد ... وموسيقى خفيفة تنبعث من جوانبه وتُضفي جوًّا من المرح والانتعاش على الذين جلسوا حول الحمَّام الكبير.

قالت «إلهام»: ازدحام غير متوقَّع!

ردَّ «أحمد» وهو يُدير عينيه في الزحام: أظن أنه لن يتوه منَّا، فهو لا يتنكَّر فليس هناك فائدة في تنكُّره بسبب عرجِه والإصابة الواضحة في وجهه. وقد درسناه جيدًا على الشاشة.

كانا ممدَّدَين على حافة الحمَّام. «أحمد» بجسده الفارع المفتول ... و«إلهام» بجسدها الرشيق في مايوه من قطعتين ... ومن بعيدٍ كان «خالد» يقوم بجولة بين الجالسين حول حوض السباحة ... بينما جلست «عبلة» تستمع إلى الموسيقى.

مَرَّ «خالد» بجوار «أحمد» و«إلهام» بهدوء وكأنه لا يعرفهما، وكان عليه أن يرفع يده إلى رأسه إذا رأى شيئًا غير عادي ... ولكنه لم يفعل ... وكان من الواضح أن «بوزيل» لم يظهر بعد.

ومرَّ الوقت وأشرفَت الساعة على الثانية عشرة دون أن يظهر أيُّ أثر لـ «بوزيل» وقالت «إلهام»: أظن أنه لن يأتي ... ومن حقِّنا أن نَستمتِع قليلًا بالمياه ... سأنزل ...

ووقفت «إلهام» وخطت خُطوة إلى حافة الحمَّام ... ثم رفعت يدَيها إلى فوق واستعدَّت للقفز ... وفي تلك اللحظة انطلقَت من مياه الحمَّام صيحة فزع ...

كانت الصيحة لامرأة ... ولكن كان من الصعب تحديد مكانها بين الرءوس الكثيرة الطافيَة على المياه ... وتوقفَت «إلهام» عن القفز ... وجمدت في مكانِها كالتمثال ... وسكتت الضجة والضحكات التي كان يطلقها السائحون ... وإن ظلَّت الموسيقى تُطلق أنغامها الراقصة ...

ومرةً أخرى ارتفعت الصيحة ... وسمع الجميع صوتًا نسائيًّا مُضطربًا يقول: غريق!

وقفزت «إلهام» كالسَّهم وفي ضربات سريعة متلاحقة وصلت إلى المرأة الصارخة ... ولاحظ «أحمد» من مكانه أن عددًا من الرجال في ملابس الاستحمام قد قفزوا أيضًا. ولكن «إلهام» كانت قد سبقتهم ... وقالت المرأة: كنتُ أغطس فلاحظتُ وجود شخص على قاع الحمَّام.

وغطست «إلهام»، وهي بطلة في العوم والغطس، وشقَّت طريقها في المياه كالسَّمكة. وتحت المياه الزرقاء العميقة ... على قاع الحمَّام كان ثمَّة شخص قد انطرح على ظهره وسكنت حركته.

اقتربت «إلهام» منه سريعًا ... كان أول ما خطر ببالها أنه «بوزيل» ... ولكن الرجل الغريق كان أكثر طولًا، وأكثَف شعرًا ... ولحق بـ «إلهام» عدد من الرجال تعاونوا على رفع الرجل من المياه ... ثم أسرعوا إلى حافة الحمَّام، وتعالت الصيحات تطلُب طبيبًا ... ولكن «أحمد» الذي وصَل إلى مكان الغريق أدرك على الفور أن الرجل ميت ...

وانحنى «أحمد» على الرجل فقد لاحظ أن جسمه مُتصلِّب وقد علته زُرقة شديدة وأن بطنه ليس منتفخًا كعادة الغرقى ... وأحس أن الرجل لم يَغرق بشكل عادي ...

كان الرجال الذين أخرجوا الرجل، قد التفُّوا حوله، وطلبوا من بقية روَّاد الحمَّام الابتعاد ... وسكتت الموسيقى ... وخيَّم جو من الوجوم على الحمَّام الذي كان يضجُّ بالمرح والضحكات، وأسرع أغلب الروَّاد يرتدُون ثيابهم ويُغادرون الحمَّام.

وانطلق صوت الميكريفون يقول: سيداتي سادتي، نرجو عدم مغادرة الحمَّام حتى يُتمَّ رجال الشرطة عملهم.

همس «أحمد» في أُذن «إلهام»: الرجال الذين قفزوا إلى الحمَّام بعدكِ من رجال الأمن ... وقد اكتشفوا كما اكتشفتُ أنا بالضبط ... أن الرجل لم يَمُت غريقًا.

إلهام: وما هو موقفنا؟

أحمد: سيِّئ طبعًا ... فنحن لسنا من نزلاء الفندق وقد دخلنا متسلِّلين!

إلهام: لقد شاهدت شيئًا صغيرًا في قاع الحمَّام ... لم أتمكن من الوصول إليه لأن الرجال كانوا يحيطون بي.

أحمد: وما هو هذا الشيء؟ أو أقرب شيءٍ إليه؟

إلهام: إنه يُشبه القلم في الأغلب!

أحمد: من الأفضل أن نَلفت نظر رجال الأمن إليه ... فقد يكون ذا أهمية في التحقيق.

وكان باب الحمَّام قد أُغلق ... ووُضع تحت حراسة مشددة ... وبدأ رجال الأمن استجوابهم لجميع من كانوا في الحمَّام.

واقترب «فهد» و«عبلة» من «أحمد» و«إلهام»، وهمست «إلهام»: جريمة في حمَّام السباحة!

عبلة: هل «بوزيل» هو الفاعل؟

إلهام: إن «بوزيل» لم يظهر مطلقًا ... ولكن من يدري؟

وطلب «أحمد» من «إلهام» أن تُسرع إلى التليفون وتتصل بـ «رقم صفر» وتخطره بما حدث وتطلب منه تسهيل خروجهم من الحمَّام قبل أن يُضايقَهم رجال الشرطة.

الرجل ذو النصف وجه

عاد الأصدقاء إلى شقتهم في المساء ... بعد تحقيق طويل مع كل مَن كان في الحمَّام لم ينتهِ إلى شيء ... وقد أخبرت «إلهام» رجال الأمن عمَّا شاهدته في قاع الحمَّام، ولم يعرف الشياطين الستة ما حدث بعد ذلك حتى وصلهم في الثامنة تقرير من «رقم صفر». كان التقرير موجزًا وقرأه «أحمد» بصوت مرتفع:

لم يغرق الرجل، لقد مات بحقنة مسمومة أُعطيَت له وهو في الحمَّام، وقد عثر رجال الأمن على الحقنة في قاع الحمَّام بعد أن لفتت «إلهام» أنظارهم إليها ... لم تُعرف شخصية الميت بعد.

سكت «أحمد» لحظات ثم مضى يقرأ:

اتضح أن «بوزيل» قد غادر بيروت في طائرته الخاصة عائدًا إلى سويسرا، ولا ندري كيف خرج من الفندق دون أن يراه الرجال الذين يُراقبونَه والذين ظلُّوا ينتظرون خروجه من غرفته حتى السادسة مساءً ثم فتحوا الباب فلم يجدوا أحدًا، ولا ندري متى غادر الفندق وربما غادره ليلًا.

قالت «عبلة»: السؤال الآن: هل «بوزيل» خلف هذه الجريمة؟!

عثمان: احتمال ... ولكن هل يأتي «بوزيل» من أوروبا لقتل رجل في حمَّام علمًا بأنه لم يكن موجودًا ساعة الحادث؟

وساد الصمت وبدا «فهد» كأنه يعتصر ذاكرته ... ثم قال فجأة: أرجو أن تعرض لنا «عبلة» الفيلم الخاص بـ «بوزيل» مرةً أخرى.

أحمد: هل هناك شيء يدور بخاطرك؟

فهد: لا أدري لماذا بدا لي أنني رأيت وجهًا أعرفه خارجًا من الحمَّام بعد ذهابنا بقليل ... وجه رأيته من قبل ... ولكن لا أدري أين ... ربَّما ... ربَّما يكون في هذا الفيلم.

عبلة: المسألة سهلة جدًّا.

ومرةً أخرى أطفأ «أحمد» أنوار الصالة ... بدأ عرض الفيلم القصير ... و«فهد» يُركز بصره ويطلب من «عبلة»، إيقاف الفيلم، وإعادة المنظر الأول، ثم الثاني ... ثم فجأة صاح: أوقفي الفيلم هنا!

وأوقفت «عبلة» دوران الفيلم عند مشهد «بوزيل» وهو يرقص مع السيدة وحوله بضعة أشخاص. وقام «فهد» واقترب من الشاشة ثم ابتعد ... ثم عاد يقترب من جديد، وقال وهو يضع إصبعه عند نقطة من الشاشة: هل ترون نصف الوجه هذا؟

وقال بعض الشياطين: نعم، ماذا فيه؟

فهد: إن صاحب هذا النصف وجه هو الذي خرج من الحمَّام بعد وصولنا بقليل ...

قال «عثمان»: هل أنت متأكد؟

تردَّدَ «فهد» لحظات ثم قال: أعتقد هذا ... إنك لن تجد أشخاصًا كثيرين في هذا العالم لهم مثل هذه الأذن المُتدلية التي تُشبه أذن الفيل.

ظلَّت الصالة مُظلمة والأصدقاء يجلسون صامتين وقد علقوا أبصارهم جميعًا، بالرجل ذي النصف وجه، وقال «أحمد»: إن هذا يؤكد أن «بوزيل» خلف جريمة رجل الحمَّام ... يجب أن نُخطر «رقم صفر» فورًا.

وقام «أحمد» إلى جهاز اللاسلكي وبدأ يرسل: من «ش. س» إلى «رقم صفر»: هناك احتمال أن يكون «بوزيل» خلف جريمة قتيل الحمَّام. قال رقم «٨» إنه شاهَد رجلًا يخرج من الحمَّام بعد وصولنا بقليل، وأنه يشبه أحد الرجال الذين ظهروا مع «بوزيل» في الفيلم. إنه الرجل ذو النصف وجه الذي يقف خلف «بوزيل» ... أثناء وجوده في الحفل الراقص ... أقترح أن تراقبوا الخارجين من بيروت ... أرسل من يأخذ الفيلم.

وترك «أحمد» جهاز اللاسلكي مفتوحًا وعاد إلى الأصدقاء.

وقالت «إلهام»: لقد جاء صاحب الاسم الكبير، «بوزيل» كيرجولاي، إلى بيروت، ووقع حادث راح ضحيته رجل مجهول حتى الآن ... ثم اختفى دون أن يتمكَّن أحد من الوصول إليه أو التعرض له.

قال «خالد»: لا تنسَي أن هذا هو أسلوبه دائمًا ... إنه يخطط للجرائم ولكن لا يشترك فيها ... ولهذا يَصعُب القبض عليه.

وسمع الأصدقاء صوت جهاز اللاسلكي يرسل إشاراته، وأسرع «أحمد» إليه وتلقى تقريرًا سريعًا من «رقم صفر».

سيأتي إليكم رجلٌ بعد قليل ... أرسلوا الفيلم وضعوا دائرة حول نصف الوجه الذي تحدَّثتُم عنه ... ما زلنا نبحث شخصية الرجل القتيل ... أعتقد أن هناك معلومات على جانب كبير من الخطورة ستظهر ... عثرنا في جيبٍ سِريٍّ بالمايوه على ورقة صغيرة مُغلَّفة بالبلاستيك بها مجموعة من الخطوط والنقط والأرقام على أحد وجهَيها، وعلى الوجه الآخر مجموعة من الأرقام والحروف ... لم نتمكن حتى الآن من حل الرموز ... سأرسل لكم صورة من هذه الورقة ...

بعد ربع ساعة كانت «إلهام» تنزل إلى الشارع حيث دخلت مطعمًا صغيرًا وهي تحمل حقيبة صغيرة ... وظهر شخص يلبس قميصًا أسود، ويضع في صدره وردةً حمراء ويَحمل حقيبة من نفس النوع واللون والحجم الذي تحمله «إلهام»، وببساطةٍ تمَّ تبادُل الحقيبتين.

عادت «إلهام» سريعًا إلى الأصدقاء، فتحت الحقيبة وأخرجت مظروفًا مغلقًا فتحته وأخرجت قطعة صغيرة من الورق المقوَّى ومدت بها يدها إلى «أحمد» ... ثم أخرجت ورقة أخرى مكتوبة.

قرأت «إلهام» الورقة المكتوبة:

> رسالة من «رقم صفر»: الورقة المقوَّاة هي نموذج دقيق للورقة التي وُجدَت في جيبٍ سِريٍّ في مايوه الرجل الغريق، المساحة ١٠ سنتيمتر × ٥ سنتيمتر. حاوِلُوا فكَّ الرموز التي عليها.

وضع «أحمد» الورقة المقوَّاة على المكتب وأحاط الشياطين الستَّة بها ... كانت مقسَّمة إلى سنتيمترات ثم إلى مليمترات ... وفي أحد جانبَيها دائرة حمراء في وسطها خط أحمر.

أحمد: واضح أنه رسمٌ هندسي لمكان!

عثمان: المهم أين هو المكان؟!

أحمد: فعلًا ... المهم أين هو؟

وأدار «أحمد» الورقة. كان على ظهرها مجموعة ضخمة من الأرقام الكبيرة، تتخللها أحرف متعددة مكتوبة بالفرنسية ... وأخذ «أحمد» يترجمها إلى العربية: «٧٧٧ و١١س و٥٣ك».

ثم انتقل إلى رقم آخر: «٩٨٧ش/١٢٣ص/٩أ».

ثم مضى «أحمد» يقرأ بقية الأرقام حتى انتهى من قراءة الورقة، وكل رقم في كل مرة يتكون من مجموعة من الأرقام والأحرف …

لم تكن في نظرهم تعني شيئًا على الإطلاق.

سألت «عبلة»: هل هناك علاقة بين الرسم الهندسي وهذه الأرقام أو الأحرف؟

خالد: ربما … إننا نحتاج إلى «ريما» مرةً أخرى!

فهد: إن هذا الرسم يُذكِّرني بلوحة الأهداف التي كنَّا نتمرَّن عليها في إطلاق الرصاص …

أحمد: فعلًا ذكَّرتني بنفس الشيء … ولكن ماذا يعني هذا؟ هل كان الغريق يتمرَّن على إطلاق النار. وهل تستحق لوحة الإطلاق أن توضع في جيبٍ سِريٍّ في مايوه؟

إلهام: بالتأكيد لا … إن اللوحة ترمز إلى شيء آخر.

تنهَّد «عثمان» وهو يقذف بكرته المطاطة إلى فوق ثم يتلقَّفها ببراعةٍ وقال: هذا نوع من المهمَّات لا أحبه … رجل غريق … نصف وجه لرجل … ورقة في جيبٍ سِريٍّ بمايوه … أيها الشياطين نحن بحاجة إلى تحريك عضلاتنا … أما هذه المسائل فتحتاج إلى أشخاص غيرنا.

لم يكد «عثمان» يَنتهي من جملته حتى سمعوا دقات جهاز اللاسلكي، فأسرع «أحمد» وبدأ يكتب التقرير الذي كان يُمليه عليه «رقم صفر»:

> الرجل ذو النصف وجه رجل هامٌّ اسمه «مورج». إنه مدير أحد البنوك السويسرية الكبرى. وجوده مع «بوزيل» في مكانٍ واحد لا يَعني شيئًا، فقد كانت حفلة راقصة. ومع ذلك فقد تحرَّينا خطواته منذ جاء إلى بيروت وعرَفنا أنه حضر لعقد مجموعة من الصفقات التجارية، ولكنَّه لم يتَّفق على شيء بعدُ وسيعود إلى زيورخ في الثامنة من صباح غد. على سبيل الاحتياط يُسافر ثلاثة منكم على نفس الطائرة للمراقبة تمَّ حجز تذاكر باسم رقم «١» ورقم «٣» ورقم «٨». ما زالت شخصية غريق الحمَّام مجهولة.

أسرع «أحمد» بالتقرير إلى الشياطين الخمسة … واستمعوا إليه، وقال «أحمد»: سأسافر أنا و«إلهام» و«فهد» على الطائرة في الصباح، سيَبقى «عثمان» و«خالد» و«عبلة»، وعليكم استدعاء «ريما» من الأردن لفحص الورقة وما عليها … وعندما نعود من زيورخ نرجو أن نجدكم قد حللتم الرموز.

ونام الأصدقاء مُبكرين، وفي الصباح كان «أحمد» و«إلهام» و«فهد» في طريقهم إلى مطار بيروت الدولي، وصعد الثلاثة وأخذوا أماكنهم في المقاعد الأخيرة من الطائرة ... فقد كانت أفضل مكان للمُراقبة.

أخذ «فهد» يُراقب الداخلين إلى الطائرة، وسرعان ما غمز «أحمد» في ذراعه يلفت نظره إلى شخص كان يدخل الطائرة ... إنه الرجل ذو النصف وجه. لقد أصبح وجهه كاملًا الآن ويَحمل اسمًا ... إنه «مورج»، وقال «أحمد»: معك حق ... إنه نصف الوجه الذي شاهدناه على الشاشة ... هو نصف وجه هذا الرجل، ولكن رغم هذا لا أعتقد أن له أيَّ علاقة بـ «بوزيل».

فهد: ووجوده في الحمَّام الذي قُتل به الرجل؟

أحمد: ربما مجرد صدفة؟!

إلهام: لا أعتقد أنها صدفة ... إن ارتباط وجود «مورج» مع «بوزيل» في حفلة ... ثم وجوده هو و«بوزيل» في بيروت ... ثم وجوده في الحمَّام الذي قُتل به الرجل المجهول ... كل هذا ليس صدفة يا «أحمد»!

أخلد «أحمد» إلى الصمت وهو يراقب «مورج» ... يأخذ مكانه في أول الطائرة بالدرجة الأولى ...

أغلقت الطائرة البوينج أبوابها، ثم دارت المحرِّكات الجبارة وأخذ جسد الطائرة يهتز وهي تمشي على مدرج المطار ببطءٍ ثم وقفت ووجهت وجهَها للمَسار وأخذت سرعة المحرِّكات تتزايَد تدريجيًّا حتى وصلت إلى قِمتها ... واستجمعت الطائرة نفسها ثم قفزت إلى الجو، ودارت حول المطار وهي ترتفع تدريجيًّا إلى فوق.

كانت مقاعد الطائرة كلها مشغولة تقريبًا ... خليط من مُختلِف الجنسيات. والهدف زيورخ ... وأخذت أضواء التحذير الحمراء تَلمع ... اربطُوا الأحزمة ... ممنوع التدخين ... ومرت المضيفات على الركاب بقطع الحلوى الصغيرة، ومضَت الطائرة ترتفع وترتفع حتى استوت على الارتفاع المعتاد لها ... ثم مضت تشقُّ طريقها، وارتفع صوت المضيفة ... تُرحب بالركاب وتُقدم لهم التحيات باسم كابتن الطائرة وطاقم القيادة، ومضى كل شيء في هدوء ...

مضت ساعة والطائرة ماضية في طريقها ... ومال «فهد» على «أحمد» قائلًا: هل ستعود في نفس اليوم إلى بيروت؟

رد «أحمد»: لا ... سنَنتهِز الفرصة ونقضي الليلة في زيورخ إنها مدينة لم نزُرها من قبل، ومن الأفضل في عملنا أن نعرف عددًا أكثر من البلاد.

وكان «أحمد» يفكر في «إلهام»، كانت تجلس بجوار النافذة، تتأمَّل قمم السحاب الذي يَطيرُون فوقه ... وقد استسلمت لأحلامٍ هادئة؛ فقد كان «أحمد» يجلس بجوارها وكتفه يُلامس كتفَها ... وتمنَّت لو كانا ذاهبَين وحدهما دون مغامرة أو رقابة إلى عالم بعيد ... ولكن «بوزيل» وغريق الحمَّام المجهول ... والرجل ذو النصف وجه ... وحياتهم الخَطِرة التي يعيشونها ... كل ذلك كان يَشدها من أحلامها إلى الواقع.

ومضت ساعة أخرى ... وبدأت الطائرة تُغادر البحر وتُحلِّق فوق إيطاليا.

كانت قد بقيَت ساعة أخرى تقريبًا وتصل الطائرة إلى زيورخ، وقالت «إلهام»: رحلة مُمِلَّة ... حتى الرجل الذي نُراقبه يجلس في الدرجة الأولى ولا نستطيع أن نراه ...

وفي تلك اللحظة ظهر أحد المضيفين الجويين قادمًا من كابينة القيادة ... كان وجهه ينزف دمًا ... وأحسَّ الركاب بالطائرة تهتزُّ ... وتحيد عن طريقها ثم تعود لتعتدل ... ووقف «أحمد» بسرعة واتجه نحو مقدمة الطائرة، فقد شعر على الفور أن ثمَّة شيئًا غير عادي يحدث ... ولكن صوت الميكريفون أوقفه في مكانه. كان ثمَّة رجل يقول بصوت متوتِّر: أيها السيدات والسادة ... هذه الطائرة تُعتبَر تحت سيطرتنا ... ولا تسألوا من نحن ... ولن يُصاب أيُّ شخص منكم بأذًى إذا لم يتعرَّض لنا ... ونحن نعدُكم بأن تصلوا جميعًا إلى زيورخ سالِمين ... إننا نُريد من بينكم رجلًا واحدًا لا غير.

من هو الرجل المطلوب؟

مالت «إلهام» على «فهد» قائلة: هل عرفت من هو الرجل المطلوب ... إنه بالتأكيد «مورج» أو الرجل ذو النصف وجه. إنهم وضعوا خطة لخطفِه وطلب فدية!

وكان «أحمد» قد أخذ طريق العودة إلى مقعده، ولكن ذهنَه كان يعمل بسرعة البرق، فلا بُدَّ من تصرُّف سريع، وقبل أن يجلس جاءته الفكرة ... وأشار إلى «إلهام» و«فهد» أن يَقفا وأن يأتيا خلفه، ثم أسرع معهما إلى الكابينة الصغيرة؛ حيث يتم إعداد طعام الركاب وحيث يجتمع المضيفون الجويون.

كان الشاب الذي أُصيب في وجهِه يَغسل الجرح، وحوله مُضيف ومضيفتان، وكان شابٌّ آخر يَقف عند رفوف الطعام، وقال «أحمد» بسرعة موجِّهًا حديثه إليهم جميعًا: لن أضيِّع وقتكم في تقديم نفسي ... المطلوب منا جميعًا أن نتعاون ... إنني أعمل وهذه الصديقة وهذا الشاب في جهازٍ للأمن ... ونرجو أن تُساعدونا ...

قال أحد المضيفين: ماذا تَطلُب منَّا؟

أحمد: أريد أنا وصديقتي هذه وزميلي أن نحلَّ محلَّ ثلاثة منكم؟

المضيفة: لا أفهم ماذا تقصد؟

أحمد: ستَهبط الطائرة في زيورخ، ويَنزل كلُّ الركَّاب عدا طاقم الطائرة ... أريد أن أبقى في الطائرة مع صديقتي هذه وزميلي هذا ... فقد نَستطيع أن نفعل شيئًا!

المضيفة: ولكن ...

كان «أحمد» يَخلع ثيابه سريعًا، وأشار إلى «إلهام» و«فهد» أن يَفعَلا مثله، وقال: لا وقتَ للحديث ... إننا نُحاول إنقاذ الطائرة والرجل المخطوف ... والثواني ثمينة جدًّا.

نظر المضيفون بعضهم إلى بعض وبدَت عليهم الحيرة. ولكنَّ اللهجة الحاسمة التي تحدَّث بها «أحمد» وما بدا عليه من ثِقة واعتداد بالنفس ... دفع المضيفين إلى التصرُّف.

وأشار «أحمد» إلى إحدى المضيفات وقال: إنكِ تُشبهين زميلتي ... أعطيها ثيابَكِ ... وأنت ... وأشار إلى مُضيف آخر ... ثم ثانٍ ... وطلب منهما خلع ثيابهما!

تمَّ كلُّ شيء بسرعة وهدوء، وقالت إحدى المضيفات: ولكنَّكم لن تستطيعُوا القيام بالعمل على الطائرة ... إنَّ هذا ...

ولكن «أحمد» لم يَتركْها تُتمُّ جملتها وقال: إننا مُتمرِّنُون على أشياء كثيرة ... فلا تخافي ... واذهبوا فورًا إلى أماكننا ... نحن نجلس في الكراسي الثلاثة الأخيرة.

عاد أحد المضيفين يقول: ولكن ... هؤلاء الذين خطفوا الطائرة قد يتعرَّفون عليكم، فقد شاهدونا.

أحمد: في لحظات التوتر هذه لن يَلتفِت أحد إلى ما حدث ... وعلى كل حالٍ سنَترُك كل شيء للظروف ... ولحُسنِ الحظ لم يلاحظ أحد ما نفعل.

وفي دقائق قليلة كان كل شيء تمَّ ... وتبادَلَ «أحمد» و«فهد» و«إلهام» ثيابهم مع المضيفَين والمضيفة ... وطلب «أحمد» من المضيفة التي بقيَت أن تذهب سريعًا وتمرَّ بين الركاب، ثم تذهب إلى كابينة القيادة وترى ما يَحدُث هناك ... وعدد الرجال الذين يُسيطِرون على الطائرة، والأسلحة التي معهم.

ولحسن الحظ كانت ثياب المضيفَين والمضيفة مناسبة تقريبًا للشياطين الثلاثة ... وسرعان ما انطلقوا بين الركاب يؤدُّون واجبهم ... وأفادهم كثيرًا أنهم يُجيدون عددًا لا بأسَ به من اللغات الأجنبية للتحدُّث إلى الركاب. فلم يَلحظ أحد أيَّ تغيير خاصةً وقد كان خطف الطائرة قد شغلَهُم عن كل شيء آخر.

كانت المضيفة التي أرسلها «أحمد» إلى كابينة القيادة قد عادت إليه قائلة: لقد منَعَني شخص يجلس في الدرجة الأولى ويُمسك مُسدسًا ضخمًا من دخول الكابينة. إن الخاطفين يتحدثون الآن مع مطار زيورخ ... ولا أدري ماذا يقولون ...

وكانت الطائرة فوق الأراضي السويسرية ... وبدأت تَقترِب من زيورخ. ثمَّ سمع الركاب صوت المضيفة يُعلن أنَّهم فوق المطار ... وأن عليهم أن يَربِطوا الأحزمة ... كان كلُّ شيء يَمضي بشكل عادي كأن الطائرة لم تُخطَف.

بدأت الطائرة تَهبط أرض المطار ... والركَّاب جميعًا ينظُرون كلٌّ منهم إلى الآخر ... من هو الرجل المطلوب؟ كانت علامات التوتُّر بادية على وجوه الرجال ... والذعر على وجوه النساء ... ولعلَّ كل واحد في الطائرة ظنَّ أنه الرجل المطلوب ... وكان «أحمد» و«فهد» و«إلهام» يمرون بين الركاب يَبتسمون ... كأنهم مُضيفون حقيقيون يؤدُّون واجبهم لبثِّ الطمأنينة في قلوب الركاب.

وهبطت الطائرة مطار زيورخ ... ورغم الصيف كان المطر يسقط رذاذًا على المطار ... واستقرت الطائرة تمامًا ... وبدأ بعض الركاب يتحرَّكون من أماكنهم، ولكن صوت الميكريفون أوقفهم: سيداتي سادتي ... نرجو أن يبقى كلٌّ منكم في مكانه ... إن الرجل المطلوب بين أيدينا ... وقد طلبنا فدية عنه ... ولكنَّكم ستبقون جميعًا رهائن بين أيدينا حتى تأتيَ الفدية المطلوبة ... ونرجو ألا تتأخر كثيرًا!

نظر «أحمد» من نافذة الطائرة إلى أرض المطار، ولاحَظَ على الفور دائرة من الرجال المسلحين يُحيطون بأرض المطار ... وسيارات شرطة ... وسيارات إسعاف ... وفتحت الطائرة بابها ونزل رجل واحد. كان واضحًا أنه مندوب الخاطِفين ... وكان يَحمل منديلًا أبيض في يده قد رفعه فوق رأسه ... وتوقف في منتصَف الطريق ... وجاء شخص من المطار يسير وقد رفع منديلًا أبيض فوق رأسه هو الآخر ... وبدأ حوار بين الرجلين استمرَّ نحو عشر دقائق، ثم انسحب كلٌّ منهما ... فعاد مندوب الخاطفين إلى الطائرة، وعاد الآخر إلى مبنى المطار.

كان «أحمد» متأكدًا أن المخطوف هو «مورج» أو الرجل ذو النصف وجه ... وأن الخاطِفين هم عصابة «بوزيل». وكان ذهنُه يعمل بسرعة يضع مُختلِف الاحتمالات: ما هي الخطوة التالية للعصابة إذا حصلت على الفدية؟! هل تترك الركاب يَنزلون حقًّا؟ وهل يَترُكون «مورج» أم يأخذونه معهم ... وإلى أين تتَّجه الطائرة بعد ذلك؟ وما هو الدور الذي يُمكن أن يقوم به و«إلهام» و«فهد» لإنقاذ «مورج» أو القبض على العصابة؟

كانت المشكلة الأساسية هي ... أنهم بلا أسلحة ... كل أسلحتهم كانت شجاعتهم الفائقة وقبضاتهم القوية.

ظلَّت الطائرة في مكانها، وأخذ عُمال المطار يقومون بعملهم الروتيني في ملء خزانات الوقود، والكشف على أجهزة الطائرة، ومضى الوقت بطيئًا، ولا أحد يدري ما يحدث بين الخاطفين وسلطات المطار. وقرَّر «أحمد» أن يرسل مذكرة بما حدث إلى الأصدقاء في بيروت لإبلاغها إلى «رقم صفر»، فكتب ورقة صغيرة سلمها إلى المضيف الذي أخذ مكانه وطلب منه إبلاغها تليفونيًّا إلى رقم الأصدقاء في بيروت. بعد لحظات حضر مندوب المطار يحمل حقيبة سلمها إلى مندوب العصابة ... وبعدها انطلق صوت الميكريفون مرة أخرى وقال المتحدث: سيداتي سادتي ... تفضَّلُوا بمُغادَرة الطائرة جميعًا ... سيبقى معنا فقط طاقم الطائرة.

ولم يَكَد الركَّاب يَسمعُون الحديث حتى انطلقُوا يَجرُون مُتزاحمين إلى الباب ... وفي دقائق قليلة خلت الطائرة ... وكان ضمن من نزَلَ المضيفُون الثلاثة الذين أخذ الأصدقاء مكانهم ... وبقيَ من المضيفين شابٌّ وفتاة بالإضافة إلى «أحمد» و«فهد» و«إلهام».

أُغلقت أبواب الطائرة مرةً أخرى، ولكنَّها بقيت في مكانها، وحمل «أحمد» بعض أكواب القهوة الساخنة ودخَل إلى مقصورة الدرجة الأولى ... كان «مورج» يجلس في مقعده وأمامه رجل في مواجهته وكان بيده مُسدس كاد يضعه جانبًا، ولكن عندما شاهد «أحمد» رفع المُسدس مرةً أخرى، ولم يضطرب «أحمد» لحظة واحدة بل انحنى قائلًا: قهوة ساخنة ...

وابتسم رجل العصابة وهو يتناول فنجانًا ثم قال: أظنُّ أن رجالنا في كابينة القيادة يحتاجُون إلى قهوة أيضًا.

وكانت هذه الجملة هي ما يحتاجه «أحمد» ... فتوجَّه إلى الكابينة، فقال له رجل العصابة: دقَّ الباب ثلاث دقات متتالية.

وفعل «أحمد». وفُتِحَ الباب وأطلَّ وجه شرس يحمل مدفعًا رشاشًا ولكنَّه لم يكَدْ يرى إبريق القهوة حتى قال في بهجة: جئتَ في موعدِك!

دخل «أحمد» الكابينة وشملها بنظرةٍ سريعة ... كان هناك ثلاثة رجال واحد يَحمل مدفعًا رشاشًا والآخر يَحمل قنبلة ... والثالث مُسدسًا، ودهش «أحمد» كيف استطاعوا تهريب هذه الأسلحة إلى الطائرة ... وكان قائد الطائرة ومُساعده يَجلسان في مقعدَيهما صامتَين، فقدَّم لهما «أحمد» القهوة ثم عاد إلى مطبخ الطائرة ... كانتْ «إلهام» و«فهد» يَجلسان معًا فانحنى عليهما وقال: قوَّة الرجال أربعة ... الأسلحة مدفع رشاش وقُنبلة ومُسدسان ... أحد الرجال من الذين شاهَدْناهم مع «بوزيل» في الفيلم.

فهد: هل وضعت خطة مُعيَّنة؟

أحمد: الأمل أن نَنفرِد بهم واحدًا واحدًا، فالتغلُّب عليهم وهم بهذا التسليح صعب وقد يُعرِّض «مورج» والطائرة كلها لخطر النسف!

إلهام: لماذا لم تَطِر الطائرة؟

أحمد: لا أدري ... فمن الواضِح أنهم تسلموا الفِدية وأنهم يَنتظرُون هبوط الظلام!

ومرَّت الساعات بطيئة، وكان استِنتاج «أحمد» صحيحًا فلم يكد الظلام يُبشر بالهبوط على زيورخ حتى بدأت المحركات تدور، ثم استدارَت الطائرة وواجهَت الريح وانطلقَت تَهدِر.

جلس «أحمد» في مقعده يُفكِّر ... كانت خطة الهجوم على العصابة تَنضج في ذهنِه تدريجيًّا ... وكانت تعتمد ... كما قال لـ «فهد» على انفراد بكلِّ واحدٍ منهم على حدة خاصةً

بعد أن يطمئنُّوا تمامًا إلى أن كل شيء يَمضي على ما يرام فيتراخون ولو قليلًا في الإمساك بأسلحتهم.

مضَت الطائرة ... ولاحَظَ الشياطين الثلاثة أنها تمضي في اتجاه البحر. وذهبَت «إلهام» بمَزيد من المشروبات إلى حيث كان «مورج» ورجل العصابة ... ثم دخلت كابينة القيادة، وعادَت لتُخبر «أحمد» أن حامل الرشاش، وحامل القُنبلة قد وضعا سلاحيهما جانبًا، ولم يبقَ سوى حامِلَي المُسدسين.

قال «أحمد» مُوجِّهًا حديثه إلى «فهد»: خطتنا التخلُّص من أول واحد من الذين في الكابينة يَذهب إلى دورة المياه. سأقف أنا في مُنتصَف الطائرة، وعندما يأتي أول واحد منهم دعْه يدخل دورة المياه وَقِفْ أنت خلف الباب من الخارج، فإذا ما خرج فانقضَّ عليه ... لا أريد صراعًا يا «فهد»، أُريد ضربة واحدة ثمَّ اسحبه، وبمُساعدة «إلهام» اسحباه إلى آخر الطائرة وغطياه بأي شيء بعد أن تشدَّا وثاقَه ... وصمت «أحمد» قليلًا ثم قال: هل تحتاج إلى أداة ثقيلة؟

ويَبتسِم «فهد» وهو يَرفع قبضتَه التي تُشبه المطرقة قائلًا: معي هذه ... خبطة واحدة على عروق الرقبة تكفي!

قالت «إلهام»: والباقي؟

أحمد: الرجل الذي يَجلس مع «مورج» سأتولَّى أمره أنا ... أُريد قهوة ساخنة جدًّا لأحملها إليه ... وسوف أتخلَّص منه، وبمُسدسه الذي سأَستولي عليه ... سوف أُهاجم من في كابينة القيادة.

جلس الأصدقاء، «أحمد» قرب مُنتصَف الطائرة ... و«إلهام» و«فهد» مع المضيفَين الباقيَين، وشرحت «إلهام» للمُضيفة والمضيف الخطة ... وبدا الرعب على وجهَيهما. وقالت المضيفة: ولكن ... قد تَفشَلُ خطتكم ونتعرَّض جميعًا للقتل!

إلهام: لا حلَّ آخر!

المضيفة: ولكن كيف تتغلَّبون على هؤلاء ... إنهم مُجرمون من أعتى نوع، وهم مُسلَّحون بالمدافع والقنابل والمُسدسات؟

إلهام: لا تَخافي؛ فهذا عملنا!

ونظرت المضيفة إلى «إلهام» بشك، فلم تكن تتصوَّر أن هذه الفتاة الحسناء يُمكن أن تَشترك في خطة للقضاء على عصابة خطيرة خطفَت طائرة.

مضت ساعة أخرى والطائرة تشقُّ طريقها فوق البحر في الظلام، ثم فُتح باب غرفة القيادة وظهر أحد الرجال ... رآه «أحمد» ... فوضَع يدَه على شعره وهي الإشارة التي كان ينتظرها «فهد» ... فوقف قريبًا من دورة المياه ... كان الرجل يَحمل مُسدسه في يده، وكان يبدو كالغوريلا بجبهتِه المائلة إلى الأمام، وشعره الكثيف، وذراعَيه المُتدليتَين.

مضى الرجل ومرَّ بـ «أحمد» دون أن يُعيرَه التفاتًا ... واتجه إلى دورة المياه ... وعندما دخل ... خرجت «إلهام» من مطبخ الطائرة وهي تَحمِل صينية القهوة ... ومشت بهدوء حتى سلمتها إلى «أحمد» الذي ابتسم لها مشجعًا.

وقف «فهد» خلف باب دورة المياه وهو يَثني أصابعه ويفردها في انتظار اللحظة الحاسمة ... ومضَت فترة دون أن يظهر الرجل ... ثمَّ سمع «فهد» باب دورة المياه يُفتَح وظهرت ذراع الرجل التي تحمل المُسدس ... ثم برَز نصف جسم الرجل ... وقرَّر «فهد» أن يُغيِّر خطتَه فورًا. كتم أنفاسه تمامًا ثم مدَّ يده اليُمنى فأمسكت بالذراع التي تحمل المُسدس ولوتْها إلى الخلف، وفي نفس الوقت كانت ذراعه اليُسرى قد دارت على رقبة الرجل كأنها عصَّارة من حديد التفَّت على الرقبة فلم يستطع الرجل أن يُطلق نفَسًا واحدًا ... وثنى «فهد» ذراع الرجل حتى فرقعت عظامه وسقط منه المُسدس على الأرض، ثمَّ رفع «فهد» يده وأهوى على رأس الرجل بلكمة قوية، فتراخَى جسد الرجل وكاد يسقط، ولكن «فهد» مدَّ ذراعيه معًا تحت إبطَيه وجذَبه ... وظهرت «إلهام» مسرعة وحملت قدمَي الرجل، وساعدت «فهد» على وضعه خلف دورة المياه وأحضرت بسرعةٍ بطانيةً غطته بها.

وحسب تعليمات «أحمد» ظهرت «إلهام» مرةً أخرى في نهاية الطائرة وأدارت يدها في حركة أفقية وهي تَبتسم، وفهم «أحمد» أن المهمة انتهت بنجاح وتقدم «أحمد» إلى مقصورة الدرجة الأولى ليُنهيَ مهمته.

الدائرة الحمراء!

دخل «أحمد» المقصورة، وكان رجل العصابة يجلس وظهرُه إلى باب كابينة القيادة، بينما كان «مورج» يجلس في مواجهته وفي يد رجل العصابة كان المُسدس وفوَّهته متَّجهة إلى أسفل، لقد كان الرجل مطمئنًّا وهذا ما كان يُريده «أحمد» تمامًا ... فتَقدم بهدوءٍ وانحنى أمامه بصينية القهوة وهو يقول: مَزيدًا من القهوة يا سيدي!

ومال «أحمد» بالصينية ... ودون أن يَنتظر ردًّا من الرجل تظاهر بأن توازُنَه قد اختل، وأسقط صينية القهوة بما فيها على الرجل الذي هبَّ صارخًا، فقد لسعتْه القهوة، وكان ذلك ما توقعه «أحمد» بالضبط، وبسرعةٍ انطلقت يد «أحمد» في لكمة كالقُنبلة سقطت على وجه الرجل فانهار وسقط ... وأسرع «أحمد» ينحني على أرض المقصورة وأخذ مُسدس الرجل ثم قال: لا تخشَ شيئًا يا مستر «مورج» ... سنعود إلى زيورخ فورًا!

وفتَح «أحمد» باب مقصورة القيادة بيدَيه اليُسرى ومدَّ يده اليُمنى بالمُسدس وصاح: ارفعا أيديَكما ... إننا نُسيطِر على الطائرة!

بدا الذعر على وجهَي رجلَي العصابة، بينما التفت الكابتن ينظر ما يحدث وقد عَلَتْ وجهَه علاماتُ الدهشة، ولكن في تلك اللحظة هوى مُسدس ثقيل على رأس «أحمد» من الخلف ودارت الدنيا وهو يتصوَّر مُختلِف الاحتمالات ... ودار على عقبَيه وهو يسقط ... ولدهشته الشديدة رأى وعيناه تنغلقان أن الذي ضرَبَه كان «مورج» ...

عندما استيقظ «أحمد» بعد فترة من إغمائه، وجد نفسه ممدَّدًا على أرض الطائرة ورأسه يدقُّ بشدة، ورفع عينيه وشاهد «إلهام» و«فهد» والمضيف والمضيفة جميعًا يجلسون حوله، بينما كان حامل المدفع الرشاش ينظر إليهم وقد وضع يده على الزناد.

وكان «مورج» يجلس أمامهم وهو يُدخِّن وقد بدت عليه علامات التفكير العميق، ولم يكد «أحمد» يفتح عينيه حتى قال «مورج»: إن أصدقاءك لا يُريدون أن يتكلَّموا، ومن الأفضل أن تقولوا لنا من أنتم؟!

لم يردَّ «أحمد». كان رأسه يُؤلمه ... وفي نفس الوقت كان يفكر فيما ينبغي عمله. وعاد «مورج» يقول: مِن الواضح أنك قائد هذه المجموعة من الأولاد، وللمحافظة على حياتكم أرجو أن تقول لي حالًا من أنتم، وماذا تعرفون عنَّا؟ ومن أرسلكم؟!

نظر «أحمد» إلى «فهد» وفي عينَيه نظرة تساؤل عمَّا حدث، فقال «فهد»: لقد خدعني «مورج»، جاءني في مؤخرة الطائرة وقال لي إنك تُريدني، فأسرعت إليك وكان هو خلفي ... وفجأة ضربني على رأسي!

ابتسم «أحمد» رغم الآلام التي يحسُّ بها وقال: أنت أيضًا ... يبدو أن المستر «مورج» متخصِّص في الضرب من الخلف!

بدت في عينَي «مورج» نظرةٌ قاسية وهو يقول: هل تصوَّرتم لحظةً أننا نترك أطفالًا مثلكم يُفسدُون خططنا؟

قال «أحمد»: لقد تصوَّرْنا يا «مورج» أنك مخطوف وحاولنا مساعدتك!

كشَّر «مورج» عن أسنانه قائلًا: لقد كنتُ مخطوفًا فعلًا.

أحمد: مخطوف بإرادتك ... إن خطفَكَ كان تمثيلية لإيهام العالم أنك ضحية، والحقيقة غير ذلك.

لوَّح «مورج» بمُسدسه في وجه «أحمد» قائلًا: اصمُتْ وإلا!

كان «أحمد» يريد أن يستفزه ليعرف الحقيقة ويبني عليها خطوته القادمة ... فرفع جسده في صعوبة وجلس على الكرسي بينما حاملُ المدفع الرشاش يُراقبه في حذر، ووجد «أحمد» نفسه بجوار النافذة فنظر إلى الخارج ... كان الظلام كثيفًا فما زالوا يَطيرون ليلًا.

وفي تلك اللحظة فُتحت مقصورة القيادة، وظهر أحد الرجلَين اللذين يُسيطران عليها، وقال مستر «مورج»: إننا نقترب من الهدف ... سنصل في خلال عشر دقائق على الأكثر.

فكَّر «أحمد»: هدف ... أي هدف؟

ونظر إلى «إلهام» ووجدَها تنظر إليه ... ورغم كل شيء ابتسم لها ... وابتسمت ... كانت لحظات الخطر تجمع بينهما أكثر من أيِّ شيء آخر ... وقال «مورج»: افتحُوا الحقائب وأَعدُّوا المظلات.

اختفى وجه الرجل في المقصورة، وقال الآخر مُشيرًا إلى الأصدقاء: وهؤلاء؟!

كان «مورج» مُستغرقًا في تفكير عميق، فلم يسمع ما قاله الرجل، فعاد الآخر يردد في صوت مرتفع: وهؤلاء ... هل أُطلق عليهم الرصاص؟!

انتبه «مورج» قائلًا: لا ... ستَمضي الخطة كما كانت.

وظهر رجل المقصورة مرةً أخرى وألقى إلى «مورج» وإلى الرجل الآخر بكيس لكلٍّ منهما. وبينما انشغل «مورج» في فتح الكيس كان الرجل يُراقب الأصدقاء بعينَي صقر.

فتح «مورج» الكيس وأخرج مظلَّةً للهبوط ارتداها سريعًا، ثم رفع مُسدسه في وجه الأصدقاء، بينما انهمك الآخر في ارتداء مظلته.

ظهر رجل المقصورة مرةً أخرى وقال: لقد اقتربنا تمامًا من الهدف.

مورج: اطلب من الطيار أن يَهبط إلى ارتفاع ستة آلاف قدم ... ودعْهُ يدور في دائرة واسعة.

أسرع الرجل لتنفيذ ما قاله «مورج»، وبدأ الجميع يحسُّون بالطائرة وهي تهبط من ارتفاعها الشاهق تدريجيًّا ... وتدور ... ونظر «أحمد» من النافذة. وبرَزَت أمامه مفاجأة جديدة في سلسلة مفاجآت هذه المغامرة ... شاهد دائرة من الأضواء تلمع فوق البحر. وتذكَّر على الفور الرسم الهندسي الذي كان في جيب المايوه السري للقتيل المجهول في حمام السباحة ... هذه هي إذَن الدائرة الحمراء ... وفي جانب من الدائرة كانت تقف سفينة مُضاءة الأنوار عليها طائرة «هليوكبتر» صغيرة، وهذا هو الخط الأحمر في جانب الدائرة ... إذَن فالقتيل المجهول كان يعرف الخطة ... ولهذا قُتِل ... ولكن ما هو معنى الأرقام والحروف التي كانت على الجانب الآخر من الورقة؟!

وفي تلك اللحظة ظهر أحد الرجلَين اللذين يُسيطران على مقصورة القيادة ... وكان يرتدي هو الآخر مظلة القفز ... وقال موجِّهًا حديثه إلى «مورج»: هل نقفز الآن؟

كان وجه «مورج» ساكنًا، وكان من الواضح أنه يفكر بعمق، ثم قال: ربع ساعة من الآن ...

وتوجه الرجل إلى نهاية الطائرة، ثم ظهر قائد الطائرة ومساعدُه وخلفهما الرجل الباقي من العصابة وقال موجهًا حديثه إلى «مورج»: الطائرة الآن تطير بأجهزة التحكم الأوتوماتيكي.

مورج: افتح باب الطوارئ ... واقفزوا واحدًا بعد الآخر ... وسأكون آخر من يقفز.

واتَّجه الرجل إلى أحد أبواب الطوارئ وقال «مورج» موجِّهًا حديثه إلى الطيارَين والأصدقاء: كان من المفروض ألا يعلم أحد أنني مُشترك في هذه الحكاية كلها ... لقد كان

يجب أن أبدو أمام العالم رجلًا مخطوفًا، ولكنَّكم عرفتم الحقيقة ... لهذا يجب أن تموتوا جميعًا ...

خيَّم الصمت على الجميع، ومضى «مورج» يقول: ولا أستطيع أن أقتلكم فقد يحدث لأي سبب أن يعثروا على جثثكم وقد يَستنتجُوا الحقيقة ... ستموتون بالطريقة التي اخترتُها لكم.

فتح الرجل باب الطوارئ ... ودخل تيار قوي من الهواء إلى الطائرة فبدأت تترنَّح وبدأ الرجال يُلقون بأنفسهم واحدًا وراء الآخر، واتجه «مورج» إلى الباب فتقهقر بظهره ووجهه إلى الأصدقاء ثم ابتسم قائلًا: أشكركم على محاولة إنقاذي، ولكن ألم يكن من الواجب أن تسألوني رأيي؟

وقفز «مورج» ...

أسرع مساعد الطيار يُعاونه المضيفان الجويَّان إلى إغلاق باب الطوارئ، وأسرع الطيار إلى غرفة القيادة، وبدأت الطائرة تَستعيد توازنها ... أما «أحمد» فكان ينظر إلى الدائرة الحمراء تحته ... وتمنَّى لو استطاع هو أيضًا أن يقفز ... ولكنه تنبَّه سريعًا إلى حديث «مورج»: ستموتون بالطريقة التي اخترتُها لكم.

وقف «أحمد» و«فهد» و«إلهام» وأسرعوا إلى كابينة القيادة. كان واضحًا أنهم يُريدون التحدث إلى قائد الطائرة ... وقال «أحمد» موجِّهًا حديثه إلى القائد: هل تستطيع الاتصال بأي مطار قريب؟

الطيار: للأسف ... نحن نسير خارج جميع الخطوط التجارية المعتادة من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى لقد حطَّموا جهاز اللاسلكي في الطائرة.

أحمد: وأين نحن الآن؟

الطيار: في نقطة غربي البحر المتوسط بين جنوب إسبانيا وشمال الجزائر.

أحمد: هل عندك وقود يكفي للوصول إلى أحد المكانَين ... إسبانيا أو الجزائر؟

الطيار: نعم ... بعد نصف ساعة يُمكن أن نصل إلى الجزائر.

أحمد: هل تعمل أجهزة الطائرة بصورة طبيعية؟

الطيار: نعم!

تلفَّت «أحمد» حوله ثم قال: إذَن كيف سنموت؟

ردت «إلهام» بسرعة: قنبلة زمنية!

التفت إليها «أحمد» قائلًا: تمامًا ... وبعد عشر دقائق؟

فهد: كيف عرفتَ التوقيت؟

أحمد: ألم تسمع «مورج» يقول للرجل: «بعد ربع ساعة من الآن» ...؟ لقد مضت خمس دقائق تقريبًا وبقيت عشر دقائق ... ابحثوا سريعًا وأرجو الاتجاه بالطائرة إلى الجزائر.

بدأ الجميع تفتيش الطائرة، وكان كلٌّ منهم ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... ومضت الدقائق سريعًا ... وهم يُقلِّبون كل شيء في الطائرة ... في غرفة القيادة ... تحت المقاعد ... فوق الرفوف ... ونظر «فهد» إلى ساعته وهو يُفتش ... بقيت سبع دقائق ... ونظرت «إلهام» إلى ساعتها بعد ذلك ... بقيت ست دقائق ... كانوا يَجرُون في كلِّ مكانٍ بشكلٍ محموم ... وكان «أحمد» وهو يبحث يتذكَّر ما قاله «مورج» للرجال طول الوقت، تذكر قوله: «سنُنفذ الخطة كما هي ...» إذَن فنسفُ الطائرة كان مقررًا من قبل، ومعنى ذلك أن القُنبلة كانت جاهزة ... وكل المطلوب هو ضبطها ... فأين وُضعَت؟

وأخذ مرةً أخرى يتذكَّر، عندما قال «مورج» للرجل: «بعد ربع ساعة من الآن ...» اتجه الرجل إلى نهاية الطائرة ... إذَن فالقنبلة هناك ... وصاح «أحمد»: اتجهوا جميعًا إلى آخر الطائرة ... فالقُنبلة هناك ...

وأسرعوا جميعًا ... كانت الدقائق تمرُّ بسرعة البرق ... وفتح «أحمد» باب دورة المياه، شمل المكان بنظرة سريعة ... وخلف مقعد دورة المياه مدَّ يده ... وسرعان ما لَمَس جسمًا صُلبًا ... أخرجه، ونظر إليه، لم يكن هناك شكٌّ أنه القنبلة.

أسرع «أحمد» يجري إلى أقرب باب للطوارئ وصاح بـ «فهد»: اطلب من الطيار أن يعاود الهبوط لمعادلة الضغط!

وأسرع «فهد» لتنفيذ المطلوب، وفي نفس الوقت كانت «إلهام» تضع يدها على الباب، وتنظر إلى ساعتها ... كان قد بقي دقيقتان فقط ... وأخذت الطائرة تَهوي هابطة إلى تحت ... وسواءٌ أكانت وصلت إلى ارتفاع معقول أم لا ... فإن الثواني الباقية لم تكن تسمح بالانتظار فقال «أحمد» لـ «إلهام»: افتحي الباب واستلقي على الأرض حتى لا يشفطكِ الضغط إلى الخارج.

وفتحت «إلهام» الباب، ووقف «أحمد» جانبًا وقد أمسك «أحمد» الكراسي بيده، وباليد الأخرى قذف القنبلة إلى الخارج ... ولم تمضِ سوى ثوانٍ قليلة حتى انفجَرَت القُنبلة واهتزت الطائرة اهتزازًا عنيفًا، ولكن الطيار استطاع أن يسيطر عليها وتعود إلى سيرها الطبيعي.

أسرع «أحمد» يُغلق باب الطوارئ ... واستدار يضع ظهره عليه ... ووقفت «إلهام» ولم تتمالك نفسها فاحتضنتْه، ودفنَت رأسها في صدره، وسمعت قلبَه يدقُّ سريعًا ...

وبعد لحظات اجتمع «أحمد» و«فهد» و«إلهام» والمضيف والمضيفة الباقيان في كابينة قائد الطائرة ... كانوا جميعًا سُعَداء رغم كل ما حدث، وقال قائد الطائرة: لقد قُمتم بعمل عظيم ... ولا أدري كيف جئتُم ولا مَن أنتم.

وروى له «أحمد» باختصار ما حدث منذ كانوا في بيروت، وسأله الطيار: ولكن من أنتم، وأيَّ جهة تتبعون؟!

ابتسم «أحمد» قائلًا: هذا هو السؤال الذي لا نَملك حق الإجابة عليه ... المهم الآن أن نصل إلى الجزائر.

قال قائد الطائرة: سنصل ... ولكن هناك مشكلة.

مجرد واحد في الألف

قال «أحمد»: ما المشكلة؟

قائد الطائرة: نعم ... جهاز اللاسلكي محطَّم ... ولن نستطيع تفسير دخولنا المجال الجوي للجزائر ... ولن نستطيع أيضًا الاتِّصال بأي مطار ليستقبلنا، فالهبوط يحتاج إلى معلومات عن حالة المطار ... والممرِّ الذي سننزل عليه ... وسرعة الرياح ... وغيرها من المسائل الفنية!

أحمد: ماذا سيَحدث بالضبط؟

قائد الطائرة: في الأغلب ستصعد بعض الطائرات الحربية خلفنا.

ولم يكد القائد ينتهي من جملته حتى التفَتَ خارج الطائرة قائلًا: هذا ما توقعتُه، انظر!

ونظر «أحمد» إلى حيث يشير فشاهد طائرة تَطير على مقربة من الجناح الأيمن وهي تطلق إشارات ضوئية معينة.

قال قائد الطائرة: إنها تطلب منا النزول، وسأُعطيها إشارة تعني القبول.

وأخذت الطائرة تهبط تدريجيًّا، وطائرتان حربيتان تحيطان بها من كلا الجانبَين، وقال الطيار: في الأغلب سوف نَهبط في مطار حربي!

دارت الطائرة فوق مطار صغير كانت أضواؤه بادية ... على الأرض ... ثم أخذت تقترب من الأرض وهي تخفض سرعتها، ثم صدمة خفيفة على العجلات، ومضت تجري حتى نهاية المطار ثم توقفت مكانها.

فتح «أحمد» الباب. ولم يُدهش عندما وجد الشرطة العسكرية تحيط بالطائرة، وأخذ يهبط، وبعده هبط بقية من كان في الطائرة وتَقدم ضابط شابٌّ من «أحمد» وقال: ما هذا ...

لماذا لم تردُّوا على حديثنا إليكم باللاسلكي؟ ... ألا تعرفون أنه ممنوع دخول المجال الجوي لأي بلد إلا بإذن؟

قال «أحمد»: أعتقد أن قائد الطائرة أقدر على الإجابة على هذه الأسئلة، فإنني مجرد راكب ... ومبدئيًّا فإن الطائرة كانت مخطوفة ... وأرجو لأسباب كثيرة عدم إذاعة خبر نزولها إلى الجزائر الآن!

ونظر «أحمد» إلى ساعته ... كانت العاشرة ليلًا ... ثم قال: أرجو أن أتحدث تليفونيًّا فورًا مع صديق جزائري هنا للأهمية!

أشار الضابط إلى أحد الجنود ليأخذ «أحمد» إلى مكان التليفون. بينما تَقدم قائد الطائرة للحديث مع الضابط ومن اجتمع حولهم من ضباط وجنود.

رفع «أحمد» سماعة التليفون وأدار رقمًا معينًا، وعلى الطرف الآخر كان «بو عمير» أو العضو رقم «٥» في مجموعة الشياطين الـ ١٣.

قال «أحمد»: رقم «١» من «ش. ك. س» يتحدث.

بو عمير: رقم «٥» من «ش. ك. س» يستمع.

أحمد: كيف حالُكَ يا «بو عمير»؟

بو عمير: كيف حالك أنت يا «أحمد» ... لقد وصلني تقرير من «رقم صفر» بخطف الطائرة التي كنت عليها أنت و«إلهام» و«فهد» ولم أكن أتوقع مطلقًا أن تصلوا الجزائر.

أحمد: إننا في مطار حربي جزائري ... أرجو أن تتصل بالجهات المسئولة بالشفرة التي عندك لتسهيل مهمَّتنا وعدم تعطيلنا، وأرجو أن يظلَّ خبر نزول الطائرة سرًّا لفترة من الوقت!

بو عمير: سأقوم بهذا فورًا!

أحمد: وأرجو أن تنضم إلينا ... وأن تُدبِّر لنا طائرة هليوكبتر، في خلال ساعة على الأكثر ... وسأروي لك كل شيء عندما تصل ...!

بو عمير: سأقوم بهذا فورًا!

أحمد: شكرًا «بو عمير».

وأغلق «أحمد» سماعة التليفون، ثم تبع الجندي إلى حيث كان بقية ركاب الطائرة يَجلسُون في استراحة المطار البسيطة يتحدَّثون مع الضباط ويُدلون بأقوالهم.

تناول الجميع وجبة ساخنة، تبعَها كوب الشاي العربي، ومضت نحو عشر دقائق ... ثم دق جرس التليفون، وردَّ أحد الضباط، وأخذ يَستمِع باهتمام شديد، وبعد أن انتهى

من المكالمة عاد إلى الأصدقاء قائلًا: لقد صدرت إلينا أوامر من جهات عليا بأن نكونَ في خدمتكم.

قال «أحمد»: شكرًا، سيصل صديقٌ لنا يُدعى «بو عمير» بعد نحو ساعة، فأرجو أن نراه بمجرد وصوله.

قام قائد الطائرة ومساعدُه والمضيفة والمضيف للذهاب إلى مدينة الجزائر للراحة وسلَّموا جميعًا على «أحمد» و«إلهام» و«فهد» بحرارة مودِّعين، وعاد «أحمد» يقول لقائد الطائرة: أرجو أن يظلَّ أمر نزول الطائرة سرًّا حتى الصباح على الأقل.

ترك الضابط «أحمد» و«إلهام» و«فهد» وحدهم في الاستراحة فتمدَّد كلٌّ منهم على كنبةٍ التماسًا لبعض الراحة، وقال «فهد»: هل في ذهنك خطة معيَّنة يا «أحمد»؟!

أحمد: إنها تدور في رأسي منذ كنا في الطائرة، وبعد قليل من الراحة ووصول «بو عمير» سوف أحدثكم عنها!

استسلم الأصدقاء الثلاثة للنوم على الفور خاصةً بعد وجبة الطعام الشهية، وعندما وصل «بو عمير» وجدهم نائمين، ولكنه في الموعد المحدد أيقظهم جميعًا، فتبادلوا التحيات الحارة ... ثم روى «أحمد» لـ «بو عمير» بإيجاز شديد ما مرَّ بهم منذ تعليمات «رقم صفر» بمراقبة «بوزيل» حتى وصولهم إلى الجزائر ... وكان «بو عمير»، وهو من أحسن الشياطين الـ ١٣ في استخدام الخناجر، يستمع باهتمام وهو يَعبث بخنجر مربوط إلى ذراعه تحت الكُم بحيث ينزلق عند الحاجة ... وقال بعد أن انتهى «أحمد» من حديثه: وخطتُكَ يا «أحمد»؟

قال «أحمد»: لقد تعلَّمنا طبعًا أنك كي تَهزم عدوَّك فيجب أن تعرف كيف يُفكر ... وما هي الاحتمالات التي يمكن أن يُقدِم عليها!

إلهام: ذلك درس محفوظ!

أحمد: إذَن فقد فكَّرت أن خطة العصابة بالنزول بالباراشوت في مكانٍ بعيد عن الأعين تمامًا أنهم يَنوُون الاختفاء فترة من الوقت قبل أن يتحرَّكوا مرةً أخرى. إنهم، أو بعضهم على الأقل، معروف لرجال الشرطة في جميع أنحاء العالم بعد حادث الاختطاف، وهم يَنوُون الاختفاء فترة طويلة تكفي لإسدال ستار النسيان على حادث الاختطاف ... ثم يتسلَّلون مرةً أخرى إلى العالم.

فهد: وهل هم خارج العالم الآن؟

أحمد: هذا ما أعتقدُه ... إنهم على سفينة مجهولة في البحر المتوسط ... ومهما كانت حمولة السفينة من الوقود أو الطعام فلن تكفيَهم بضعة شهور ... وهي المدة التي أعتقد أنهم يُريدون أن يظلوا مُختفين خلالها.

إلهام: إذَن أين يذهبون؟

أحمد: لقد قال لنا الطيار إنهم عندما نزلوا كنا في نقطة فوق البحر بين إسبانيا والجزائر ... وإذا حسبنا أن الطائرة قد قطعت المسافة من ذلك المكان إلى الجزائر في نصف ساعة ... وأن سرعتها حوالي ٨٥٠ كيلومترًا في الساعة فمعنى ذلك أنهم نزلوا في نقطة تبعد ٤٠٠ كيلومتر من شاطئ الجزائر الشمالي. وإذا كنتم تتذكرون الخريطة جيدًا ... فإنه في هذه المنطقة توجد جزر «البليار» وأكبرها جزيرة ماجوركا ومينوركا، وعلى مبعدة من الجزيرتين توجد مجموعة متناثرة من الجزر الصغيرة غير المأهولة بالسكان.

إلهام: وهم سيَلجئون إلى إحدى هذه الجزر؟

أحمد: هذا ما أعتقده!

بو عمير: نظرية معقولة.

فهد: إنها خطة شيطانية.

إلهام: وأنت تريد غزو هذه الجزيرة؟!

أحمد: ليس هذا بالضبط وإلا لطلبنا بواسطة «بو عمير» أن تتحرَّك بعض قطع الأسطول الجزائري للقبض عليهم.

إلهام: إذَن ماذا سنفعل؟

أحمد: مهمتنا البحث عنهم أولًا ... فإذا أُتيحت لنا فرصة الهجوم والانتصار عليهم فعلنا ... وإذا لم يكن هذا ممكنًا عدنا لطلب نجدة من حكومة الجزائر.

بو عمير: هذه أول مغامرة أشترك فيها. فدعونا نحاول المغامرة ... ما هي طلباتك غير الطائرة الهليوكبتر، وهي جاهزة الآن؟

أحمد: قارب من المطاط يتَّسع لنا جميعًا، أسلحة خفيفة وقنابل ... كلها مغلفة بالبلاستيك ... فالأغلب أننا سنتعرَّض للبلل ... وخريطة للبحر المتوسط.

بو عمير: سنذهب إلى شقتي وهي ليست قريبة من هنا ... وفي مخزن الشياطين سنجد كل شيء.

أحمد: خذ «فهد» واذهبا معًا، وسأبقى هنا مع «إلهام» لمزيد من التفكير والمناقشة.

أسرع «بو عمير» و«فهد» إلى الخارج، وخرج «أحمد» و«إلهام» خلفهما.

كان المطار يقع عند سفح أحد الجبال الجميلة التي تشتهر بها الجزائر ... وكانت الليلة صيفية جميلة انتشرت في نسيمها روائح الأزهار الجبلية ... وأضاءها قمر صغير على وشك الاختفاء، واختار «أحمد» و«إلهام» مكانًا غطته الأزهار وتمددا ووضع كلٌّ منهما يده خلف رأسه، واتجها بوجهَيهما إلى السماء ... كان كلٌّ منهما يحسُّ بوجود الآخر بجواره فتَندفِع دماء الشباب والحب إلى كل شعرة فيه ... ولكن كان في قدرتهما أن يَضبطا مشاعرهما تمامًا ... فاكتفى كلٌّ منهما أن مدَّ يده إلى صاحبه وتعانقت الأصابع ... ولو رآهما شخص وهما مُمدَّدان هكذا لظن أنهما سيَقضيان ليلة دافئة ... ولما تصور مطلقًا أنهما بعد قليل سيُواجِهان مخاطر رهيبة قد لا يَنجوان منها على الإطلاق.

لم يمضِ أكثر من نصف ساعة حتى سمعا محرِّك سيارة «بو عمير» السريعة يشق صوتُه صمتَ الصحراء الساحر ... فأسرعا يقفان، ثم مدا الخطوَ إلى السيارة، وراجع «أحمد» كلَّ ما أحضره «بو عمير» ... ثم قال: أنت شابٌّ عظيم!

وقفز الأربعة إلى الطائرة الهليوكبتر، وسرعان ما دار محركها الكبير يُدوِّي في الليل ... ثم انطلقت في اتجاه الشاطئ ... وبعد فترة قصيرة حلقت فوق البحر.

قال الطيار: إلى أين بالتحديد؟

وعلى الضوء الداخلي نشر «أحمد» الخريطة على ركبتِه وأشار إلى المنطقة قائلًا: في مكان ما هنا.

الطيار: ولكن هذه مساحة هائلة؟!

أحمد: إننا سنَعتمِد على الحظ!

الطيار: إنه حظ مُستحيل ... إنه واحد في الألف على أحسن تقدير.

أحمد: فليكن.

ومضت الطائرة تهدر فوق البحر ... والأصدقاء الأربعة صامتون ... و«أحمد» يمدُّ بصره على ضوء النجوم البعيدة بعد أن غاب القمر تمامًا. كان يتذكَّر شكل القارب الكبير الذي شاهده وسط الدائرة الحمراء وكان متأكدًا أنه لو رآه لعرفه ... لقد مرُّوا فوق سفن كثيرة مبحرة، ولكنها كانت جميعًا أكبر حجمًا، والأهم أنه لم تكن عليها تلك الطائرة الهليوكبتر الصغيرة التي شاهَدَها على أضواء القارب الكبير.

مضوا يشقُّون الظلمات ... والبحر من تحتهم ... بحر من الظلام ... وليس في السماء ما يمكن أن يهديهم سوى النجوم ... كان الطيران في خط مستقيم متعامد على شاطئ الجزائر. ومضت نصف ساعة وقال الطيار: وماذا بعد؟

قال «أحمد»: ما هي سرعة طائرتك؟

الطيار: ٤٠٠ كيلومتر في الساعة!

أحمد: بعد نصف ساعة أخرى نكون أقرب إلى الهدف.

ومضت الطائرة في طيرانها المجهول فوق البحر ... ونظر «بو عمير» إلى «إلهام» ثم مال عليها قائلًا: أرجو ألا نعود بأيدٍ فارغة ...

ردت «إلهام» مبتسمة: إنَّنا نفعل ما بوسعنا ... وأُحسُّ أننا سنجدهم!

لم يظهر أيُّ ضوء فوق سطح البحر ... وفجأة قال «أحمد»: انظروا!

وأشار بيده ... ونظروا جميعًا إلى حيث أشار!

قال «فهد»: ولكن أليس من المُمكن أن يُطفئوا أنوار السفينة فلا نراهم في هذا الظلام؟

أحمد: لا ... أولًا لأن هذا يعرضهم لخطر الاصطدام بسفينة أخرى قد لا تراهم في الظلام ... ثانيًا لأنهم آمنون تمامًا ... إنهم يَعتقدُون أن الطائرة انفجرت قرب شاطئ الجزائر ... وأننا مِتنا طبعًا وأنهم في نظر العالم موتى أيضًا، فهم آمنون تمامًا، وسوف يمضون في طريقهم دون أي حذر أو خوف.

قال «بو عمير» مبتسمًا: ستكون مفاجأة كاملة لهم!

أحمد: وهذا ما أعتمد عليه في الهجوم!

فهد: هل ستهاجم السفينة؟

أحمد: لماذا لا؟

ومضت نصف ساعة أخرى، وقال الطيار: المفروض أننا الآن فوق المنطقة التي تتحدَّثون عنها.

أحمد: لا تنسَ أن السفينة تحركت شمالًا، وقد مضت ساعتان تقريبًا، فإذا افترض أنها تسير بسرعة ١٥ عقدة في الساعة أي ٤٠ كيلومترًا فأمامنا ٨٠ كيلومترًا أخرى ... أو ربع ساعة تقريبًا.

ومضت الطائرة تشق طريقها ... ومضت ربع ساعة دون أن ...

فوق البحر ... تحت النجوم

كانت سفينة العصابة تمضي بهدوء فوق بحر ساكن ... مُضاءة الأنوار ... وعلى ظهرها بدت الطائرة الهليوكبتر ... فلم يَعُد هناك شك.

أخرج «أحمد» ورقة صغيرة من جيبه كتب عليها رقمًا وبضع كلمات ... ثم سلَّمها للطيار قائلًا: سنهبط بعيدًا عنها حتى لا يرانا أحد!

الطيار: تهبط؟!

أحمد: نعم، لقد جئنا لهذا وليس لمجرَّد الفرجة أو الاستطلاع ... أرجو فقط عندما تعود إلى الجزائر أن تتصل بهذا الرقم في بيروت وأن تقول لهم هذه التعليمات!

ثم التفت «أحمد» إلى «بو عمير» قائلًا: هل القارب المطاط جاهز؟

بو عمير: إنه يَنتفخ أتوماتيكيًّا بمجرَّد فتحه!

أحمد: عظيم!

ثم التفت إلى الطيار قائلًا: أنزل سُلم الحبال من فضلك، وحلِّق على ارتفاع عشرة أمتار.

وبدأت حركة النزول، وثبتت الطائرة في مكانها على ارتفاع عشرة أمتار كما طلب «أحمد» وأنزل السلم، وكان «بو عمير» أول من نزل ومعه القارب ففتَحَه، وسرعان ما امتلأ بالهواء وأخذ يتأرجح على ظهر المياه، ونزلت «إلهام» ومعها بعض الأسلحة وتبعها «فهد» ثم «أحمد» وكلٌّ منهما يحمل بعض الأسلحة.

بعد لحظات حلَّقت الطائرة عائدة، واستوى الأربعة في القارب، وقال «أحمد»: خطتنا مراقبة السفينة من بعيد حتى تصل إلى الجزيرة، ثم نُفكِّر مرةً أخرى بالخطوة التالية!

فهد: ولماذا لا نقتحم السفينة ... إنها تسير ببطء ملحوظ، وفي الإمكان اللحاق بها؟!

بو عمير: إنني أحبِّذ هذه الخطة ... فاقتحام سفينة، أو هذا القارب الكبير كما أرى أسهل من اقتحام جزيرة، لا بُدَّ أن عليها عددًا من النقط المحصَّنة بالأسلحة.

أحمد: ما رأيكِ يا «إلهام»؟!

إلهام: أتفق مع «بو عمير» و«فهد» ... فهذه فرصتُنا للسيطرة على القارب الكبير ... خاصةً و«بو عمير» متخصِّص بالإضافة إلى الخناجر في تسيير القوارب ... ويُمكن إذا سيطرنا على القارب أن نتجه به إلى أقرب ميناء.

أحمد: إنكم متحمِّسُون جدًّا ... فما هو تقديركم لعدد من عليه من الرجال؟

بو عمير: بالإضافة إلى رجال العصابة الأربعة و«مورج»، ربما كان هناك أربعة أو خمسة من البحارة.

أحمد: أي عشرة تقريبًا!

فهد: ونحن أربعة ... ولكن عنصر المفاجأة مهم!

بو عمير: وبالمناسبة، أحضرت معي سُلمًا بخُطاف يُمكن قذفه إلى سور القارب والصعود عليه.

أحمد: إنك شخصٌ رائع يا «بو عمير» ... فقد فكَّرت في كل شيء، هيَّا إذَن نقترب من القارب!

وبدأ الأربعة يُجدِّفون بقوَّة، وأخذت المسافة بينهم وبين القارب الكبير تضيق تدريجيًّا. وعندما اقتربوا أكثر استمعوا إلى موسيقى خفيفة تأتي من القارب.

فقال «فهد»: إنهم يَستمتعُون بوقتهم!

أحمد: أو قل إنهم لم يناموا بعدُ رغم أننا تجاوزنا منتصف الليل.

فهد: في مثل هذه الأحوال فإن العصابات اعتادت أن تحتفل بانتصارها، ولعلَّهم الآن قد شربوا كثيرًا!

أحمد: تقدير معقول يا «فهد». لقد ذاكرت دروسك جيدًا!

إلهام: أذكر درس عصابة «الخفافيش الصفراء»، لقد استسلمُوا للشرطة بعد سهرة صاخبة عقب سرقتهم لبنك الولاية في «ميسوري» ... لم يَرفع واحد منهم يده لمقاومة الشرطة.

أحمد: أرجو أن تكون هذ العصابة من نفس النوع، فذلك سيُسهِّل مهمتنا كثيرًا.

وأخذ القارب المطاط الأسود الصغير يقترب من القارب الكبير، وقال «بو عمير»: لنقترب من الخلف ... وفي نفس الوقت نكون بعيدين عن تيار الماكينات ... عادةً لا يكون في الخلف بحَّارة.

وبدأ القارب المطاط يقترب تدريجيًّا حتى أصبح تحت جانب السفينة من الخلف. ووقف «بو عمير» وفي يده حبل يَنتهي بخطاف، ثم أدار الحبل في يده بضع مرات وقذفه إلى فوق. ونجح من أول محاولة، وثبَّت الخطاف في جانب السفينة، وقال «بو عمير»: سأتَسلق أولًا لأرى ما يحدث.

وكالقرد أخذ «بو عمير» يتسلق السُّلم، والأصدقاء يُحافظون على توازن القارب حتى وصل إلى حافة السطح ... نظر «بو عمير» حوله، ولم يتمالك نفسه من الإعجاب بجمال القارب الكبير وفخامته ... وكانت الطائرة الهليوكبتر خير ساتر له عن العيون فلم يتردَّد في القفز إلى سطح القارب، ثم تَقدم إلى الأمام ... لم يكن هناك أحد على السطح في هذه الساعة المتأخرة، وكانت قمرة القيادة مضاءة ... ومضى «بو عمير» في هدوء متخفيًا وراء ما يجده من ساريات ومداخن حتى وصل إلى حيث قمرة القيادة، لم يكن هناك إلا القبطان، ولكنه لاحظ وجود اثنين من البحارة يجلسان عند مقدمة القارب يتحدَّثان ... قال «بو عمير» في نفسه: ثلاثة ... لا بأس!

ثم أسرع عائدًا ونزل السلم سريعًا، وروى للشياطين الثلاثة ما شاهده على السطح. وسرعان ما كان الأربعة يتسلقون السلم إلى سطح القارب الضخم، بعد أن ربطوا قاربهم الصغير الأسود لعلهم يَحتاجُون إليه.

ربضوا جميعًا خلف الطائرة الهليوكبتر وقال «أحمد» هامسًا: كنا في حاجة إلى «عثمان» الآن ... لقد كان باستطاعته بواسطة كرة المطاط الجهنمية أن يصطاد لنا أحد البحارَين دون لفت الأنظار.

قال «بو عمير» وهو يُبرز خنجرًا طويلًا: إنني أستطيع أن أؤدي المهمَّة.

أحمد: أريد إصابة فقط ... وليس قتلًا ... إننا لا نَقتُل إلا دفاعًا عن النفس!

فهد: ما رأيكم في لفت أنظار البحارَين إلى هنا ... إن في استطاعتنا التغلُّب عليهما سريعًا دون أن يرانا القبطان!

إلهام: فكرة معقولة للغاية.

وتلفَّت «فهد» حوله حتى وجد قطعة من الخشب، وخبط بها جانب القارب دقة ثم دقة أخرى ... وسرعان ما ظهر البحاران ... كانا يَمشيان بهدوء ويتحدثان في الأغلب عن الصوت الذي سمعاه.

وربض الشياطين الأربعة هادئين ... واقترب البحاران حتى أصبحا على مسافة قريبة من الشياطين الأربعة ... وأشار «أحمد» إلى «فهد» و«بو عمير» وقفز الشيطانان كالصاعقة على الرجلين، كانا يعرفان التعليمات ... لا صراع حتى لا يَلفِتا الأنظار إليهما ... وطار

«فهد» في الهواء، وأرسل قدمه في ضربة محكمة أصابت رأس أحد البحارَين ... وقبل أن يسقط على الأرض كان «فهد» يتلقاه بين ذراعيه كطفل صغير ... وكان هذا نفس ما فعله «بو عمير»، وقالت «إلهام» هامسة: إن من يَراهما يظنُّ أنهما يرقصان الباليه.

أسرع «أحمد» و«إلهام» ... إلى الصديقَين، وبقطعة حبل من حبال السفينة تم بسرعةٍ شد وثاق البحارَين، وقال «أحمد»: ضعوهما في أحد قوارب النجاة وأنزلا القارب إلى المياه.

وتم التنفيذ بهدوء وبلا صوت، وقالت «إلهام»: بقي ثمانية، ما هي الخطوة القادمة؟!

أحمد: سنَترك القارب يسير في طريقه، ثم ننزل إلى حيث يوجد رجال العصابة إنهم نائمون في الغالب.

كان السُّلم المؤدي إلى الطابق السُّفلي من القارب على جانب قمرة القبطان، وتسلل الشياطين الأربعة بهدوء، ونزلوا السُّلم المُغطَّى بالسجاد الفاخر ... كان هناك دهليز وعلى جانبه ثماني قمرات مغلقة ... ومن قاعة الطعام التي كانت في نهاية الدهليز، كانت بعض الأصوات تَرتفِع مختلطة بالموسيقى ... وتَقدم «أحمد» أولًا، وأشار إلى الشياطين الثلاثة أن يراقبوا القمرات.

تَقدم «أحمد» بهدوء متسللًا حتى وصل إلى باب القاعة، كان الباب من الخشب، وفي أعلى كل ضلفة منه فتحة مستديرة مُغطاة بالزجاج ... ونظر «أحمد» خلال أحد الضلفتَين وشاهد ما توقعه ... «بوزيل» يَجلس في صدر القاعة وحوله رجلان من الذين اختَطفوا الطائرة ... كان «بوزيل» يجلس مُتراخيًا ... والرجلان يتحدَّثان إليه باهتمام وهو يَستمِع مُبتسمًا.

تراجع «أحمد» إلى الخلف، ولحق به «بو عمير» و«فهد» و«إلهام»، فروى لهم بسرعةٍ الموقف، وقال: سأدخل أنا و«بو عمير» شاهرَين السلاح، وسنَطلب من «بوزيل» أن يأمر قبطان القارب بأن يعود أدراجه فورًا إلى الجزائر ... وعلى «فهد» و«إلهام» أن يقفا في نهاية الدهليز، فإذا استيقظ أحدٌ من بقية العصابة، فعليهما أن يَتوليا أمره.

وتَقدم «أحمد» و«بو عمير» حتى وقفا ملاصقَين للباب، ثم دفع «أحمد» الباب ودخل خلفه «بو عمير» ... وقال «أحمد» في صوت هادئ: مساء الخير أيها السادة ... لقاء جديد!

كانت المفاجأة للرجال الثلاثة كاملة حتى إنَّهم فتحوا أفواههم على اتساعها، وقال «أحمد»: آسف لأنَّ الطائرة لم تَنفجِر!

قال «بوزيل» بصوت كفحيح الأفعى موجهًا حديثه للرجلين: لقد قلتُما إنكما شاهدتما الطائرة وهي تنفجر!

لم يردَّ الرجلان، فقال «بوزيل»: لو كانت انفجَرَت لسمعتُ صوتها أو حتى شاهدتها، ولكنكما أقسمتُما لي ...

ولكن «أحمد» لم يتركه يكمل جملته وقال بصوت هادئ، ومُسدسه يلمع في يده: ليس هناك وقتٌ للعتاب يا «بوزيل»، أصدر أوامرك فورًا إلى القبطان أن يعود في اتجاه الجزائر؟!

بوزيل: أنت تَعرف اسمي أيضًا!

أحمد: اسمك وتاريخك أيضًا يا سيد «بوزيل كيرجولاي»، وبيننا حديث طويل!

بوزيل: أنتَ لك حديث معي ... من أنت أيها الصغير؟

زوى «أحمد» حاجبيه وقال: ليس مهمًّا أن تعرف ... المهمُّ الآن أن تُصدر أوامرك.

وتقدم «أحمد» خطوة إلى الأمام ملوِّحًا بمُسدسه، وخطا خلفَه «بو عمير» وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان ... انفتح قاع القارب فجأة، وسقط «أحمد» و«بو عمير» في المياه ثم أغلقت الفتحة ...

حدث ذلك في لمح البصر وابتسم «بوزيل» وهو يقف، ثم قال: بالطبع لهما بقية ...

ثم وجَّه حديثه للرجلين بصرامةٍ قائلًا: كم كان عددهم؟

قال أحد الرجلين: أربعة أو خمسة يا سيدي!

بوزيل: هناك إذَن اثنان أو ثلاثة ... ولعلَّهما أو لعلهم في الدهليز خارج القاعة.

ثم وجَّه حديثه إلى أحد الرجلين قائلًا: اصعد يا كليف إلى السطح من الباب الجانبي ثم هات القبطان معك وحاصِرهم من أول الدهليز.

ثم نظر في ساعته وقال: سنَفتح الباب بعد خمس دقائق، فنحصرهم بيننا وبينكم، هيَّا!

وأسرع كليف يفتح بابًا جانبيًّا يؤدِّي إلى السطح، ثم أخرج «بوزيل» من جيبه مُسدسًا ضخمًا يشبه البندقية، وأخرج رجل العصابة مُسدسًا آخر. وتَقدمَا ببطءٍ من الباب. وقال الرجل هامسًا: إذا لم يكونوا في الدهليز فماذا نفعل؟

بوزيل: سنضرب جرس الإنذار ليَستيقِظ بقية الرجال!

كان «فهد» و«إلهام» واقفَين في نهاية الدهليز في انتظار تطور الأحداث ... وعندما مضى الوقت دون أن يَحدث شيء قالت «إلهام»: أعتقد أن الأمور لا تسير على ما يُرام، فقد مضى وقت أكثر مما قدرت لظهور «أحمد» أو «بو عمير»، يجب أن نتحرك فورًا!

وقبل أن يتحرَّكا سمعت «إلهام» و«فهد» أصوات أقدام خافتة تأتي من السطح قرب السُّلم الذي نزلا منه، ولم يتردَّدا. فتحا أول مقصورة وجداها ودخلا، ووجدا رجلًا نائمًا

في فراشه ... اقترب «فهد» منه ونظر، كان «مورج» ... فوضَع مُسدسه بين ضلوع الرجل الذي استيقظ مذعورًا، فقال «فهد»: إن حياتك مُعلقة بخيط رفيع ... فتصرف كما أقول لك.

في هذه اللحظة ازداد وقع الأقدام وضوحًا، ثم ارتفع جرس الإنذار في السفينة، وازدادت حركة الأقدام، وفُتحَت الأبواب ... ومضَت لحظات ... ثم فتح رجل باب المقصورة التي بها «إلهام» و«فهد» ... و«مورج» ... فأطلق «فهد» رصاصة على الباب وتراجَع الرجل الذي كان يفتح الباب صارخًا ... وارتفع صوت يقول: إنهم هنا!

كل شيء ممكن!

كان ذهن «فهد» يعمل بسرعة ... إنهما هو و«إلهام» محاصران ... ولا يعرفان مصير «أحمد» و«بو عمير» ... وكل مَن في السفينة استيقظ ... وفي تلك اللحظة سمعَ صوتًا صدر من ميكريفون في القمرة التي حُوصرا فيها ... قال الصوت: إنكم مُحاصَرون ... ومن الأفضل لكم أن تستسلموا، فقد انتهى صديقاكما إلى الأبد!

كان لهذا الكلام على قلب «فهد» و«إلهام» وقع الصاعقة ... لقد استطاعت العصابة القضاء على «بو عمير» و«أحمد» ... وأحسَّت «إلهام» كأن يدًا هائلة تَعتصِر قلبها ... فقد مات «أحمد» ... وأحسَّت بالغضب يعصف بها فقالت: إننا لن نستسلم أبدًا ... ستَدفعُون ثمن موت صديقَينا!

عاد الصوت يقول: إننا نسمعكِ ... ونحن على استعداد للتفاوض، أطلقوا سراح «مورج» وسوف نضعُكم في قارب إنفاذ ونترككم!

قال «مورج»: إنهما اثنان فقط أيها الزعيم!

ولطَمَه «فهد» لطمة أخرسته، وقال الصوت: فرصتكما في النجاة بغير مساعدتنا معدومة ... استَسلِما وسنُبقي عليكما كما وعدنا ...

صمت «فهد» و«إلهام» ... كان الموقف بالغ السوء ... وليس في إمكانهما شقُّ طريقهما إلى الخارج بالقوة، فعدد رجال العصابة أكثر.

بدأت السفينة تخفض من سرعتها تدريجيًّا حتى توقفت تمامًا، وعاد الصوت يقول: إننا نقترب من المكان الذي نُريده ... ولا نريد أن يعرفه أي شخص آخر ... وفرصتكما الآن أن تنزلا إلى البحر ... وهذا آخر إنذار لكما!

لم يرد «فهد» ولا «إلهام». لقد كانا متأكدَين أن عصابة كهذه لا يمكن أن تحافظ على كلمتها ... وأنهما هالكان لا محالة ... وفجأة قفز «مورج» الذي كان مُتكوِّمًا على

الفراش وانقضَّ على «فهد» محاولًا انتزاع مُسدسه منه ... ولكن «فهد» انحرف قليلًا فسقط «مورج» واقفًا أمام «إلهام» ووجَّه إليها لَكمة ... ولكنَّ «إلهام» أدارت وجهها وأمسكت ذراع «مورج» ... وَلوَته بشدةٍ فدار على عقبيه، وقذفته بكل قوَّتها فسقط على الباب ... وانطلق سيل من رصاص مدفع رشاش على الباب، ثم فُتح الباب بسرعة وطارت عشرات الرصاصات داخل القمرة ... وأطلق «فهد» مُسدسه وهو يلقي بنفسه جانبًا، وألقت «إلهام» بنفسها على الأرض، وسقط حامل المدفع الرشاش خارج الغرفة، وضرب «فهد» الباب بقدمه، فأُغلق من جديد ... وكان «مورج» قد أُصيبَ وسقط على الأرض.

قالت «إلهام»: سيُحاولون مرةً أخرى!

ثم التفتت خلفها تنظر إلى نافذة القمرة التي تطلُّ على البحر. كانت مستديرة وضيقة لا تسمح لأيٍّ منهما بالمرور، ولكنها شاهدت ... ويا للمفاجأة المذهلة! وجه «أحمد» خلف الزجاج السميك ... ورغم ما بدا عليه من إجهاد كان يبتسم.

كادت «إلهام» تُطلق صيحة فرح داوية، لولا أنها تمالكت نفسها ... ثم اختفى الوجه، والتفتت «إلهام» إلى «فهد» الذي كان يقف مواجهًا الباب وبيده مُسدسه ... وابتسمت له ... لم يفهم «فهد» سبب ابتسامتها ... ولكنها رفعت يدها وأشارت بإصبعها ... كانت تعني رقم «١» ... وفهم «فهد» ما تقصده.

عادت مُحرِّكات السفينة للدوران ... وعاد الصوت يقول: إننا لن نستطيع أن ننتظر أكثر ... سنأخذكما معنا إلى حيث نذهب!

أشار «فهد» إلى «إلهام» أن تقترب منه، ثم همس في أُذنها: سأتخذ من «مورج» ساترًا وأقتحم طريقي إلى الخارج.

همست «إلهام»: إلى أين؟! إنهم أكثر منا عددًا ... ولن نستطيع الفرار إلا إذا ألقينا بنفسَينا في المياه!

فهد: كيف عرفتِ أن «أحمد» ما زال حيًّا؟

إلهام: لقد رأيتُ وجهه في نافذة القمرة ... ولستُ أدري كيف وصل إلى هناك؟!

فهد: ما رأيكِ في الموقف؟

إلهام: لنَترُك «أحمد» يتصرف ... إننا محاصران، وأي حركة سنقوم بها لن تكون مفيدة، والعصابة مقتنعة أنها قضت على «أحمد» و«بو عمير» ونحن أسيران هنا ... وسيتركوننا حتى نضطرَّ إلى الخروج.

وجلس «فهد» على المقعد الوحيد في المقصورة مواجهًا الباب، بينما جلست «إلهام» على حافة الفراش ... كانت تُفكر فيما يفعله «أحمد» ... هل هو على ظهر السفينة أم في القارب المطاط؟ ... وهل سيُهاجم السفينة، أم ينتظر حتى تصل إلى غايتها؟!

ونظرت «إلهام» في ساعتها ... كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل. ومضت نصف ساعة أخرى ... ثم بدأت السفينة تخفض من سرعتها، وقامت «إلهام» تنظر من النافذة مرةً أخرى، وعلى ضوء النجوم البعيدة شاهدت شاطئ جزيرة صغيرة، وأدركت أن هذه الجزيرة هي نهاية المطاف.

بعد فترة قصيرة توقَّفت ماكينات السفينة تمامًا ... ثم اصطدمت السفينة بالشاطئ صدمة خفيفة، وسمع «فهد» و«إلهام» أصوات أقدام تتحرَّك في الدهليز ... وكان واضحًا أن العصابة تغادر السفينة إلى البر ... وأنها بالطبع تركت حرسًا قويًّا على باب المقصورة التي ما زال بها «فهد» و«إلهام» ... وسمعا صوت الميكريفون يقول: إن «مورج» سيموت إذا بقيَ ينزف ... ومن الأفضل تسليمه إلينا لعلاجه.

نظرت «إلهام» إلى «فهد» ... فهزَّ رأسه موافقًا، فقالت: ليتَقدم رجل بلا سلاح ليأخذ «مورج».

وفُتح الباب ... وظهرت يدان فارغتان، ثم ظهر أحد أفراد العصابة، ومدَّ يده فحمل «مورج» ... وخرج، وأصبح «فهد» و«إلهام» وحيدَين ... وهبط صمتٌ ثقيل على السفينة ... لم يكن يُسمع فيه إلا صوت الحراس على ظهرها.

في هذه الأثناء كان «أحمد» و«بو عمير» بجانب السفينة مغمورَين في الماء ... لا يظهران إلا للتنفس فقط ثم العودة إلى المياه ... وكانا عندما تمكَّن «بوزيل» من خداعهما وأسقطهما في المياه، قد استطاعا أن يسبحا بسرعة ويلحقا بقاربهما المطاط، وبقيَا فيه، ثم حاوَلا أن يعرفا ما يجري داخل السفينة وما حدث لـ «إلهام» و«فهد». فأخذا ينظران من خلال نوافذ المقاصير حتى شاهدت «إلهام» وجه «أحمد».

بعد أن غادرت العصابة السفينة وهدأ كل شيء تَسلق «أحمد» و«بو عمير» جانب السفينة بهدوء وحذر ... وأطلَّا على سطحها ... كان هناك حارس في أول السفينة، وآخر في آخرها، وثالث يمرُّ على سطحها، وكان الظلام كثيفًا لا يُخفِّفه إلا ضوء النجوم البعيدة ... وقرَّرا خطتهما ... التخلص من الحارس المتجول في وسط السفينة حتى يُمكنهما التسلق إلى السطح ... وتولى «بو عمير» الأمر.

صعد بخفَّة على جانب السفينة، ثم انبطح على الأرض ... وظل يَزحفُ كالثعبان. وكانت خطته ضرب الرجل على قصبته الهوائية حتى لا تصدر منه صيحة استغاثة ...

وظلَّ رابضًا مكانه يُراقب الرجل وهو يتجول حتى أصبح قرب مدخنة السفينة ... وفي قفزات سريعة اختفى «بو عمير» خلف المدخنة ... وراقب الرجل بطرف عينه ... ودار الرجل حول المدخنة وكتم «بو عمير» أنفاسه حتى شاهد طرف المدفع الرشاش يبدو على بُعد بوصات منه، ثم ظهر الرجل، وفي سرعة البرق انطلقت ذراع «بو عمير» ويده مفتوحة كالسيف، وأصابت حلق الرجل بضربة أوقفت الهواء في صدره ... وفي اللحظة التالية كان «بو عمير» قد لوى ذراعه واستولى على المدفع الرشاش وقذفه بكل قوة إلى المياه ... وكان الرجل يتأرجَح في وقفته ويكاد يستردُّ وعيه عندما وجه إليه «بو عمير» لكمة كالقُنبلة أصابت وجهه، ثم حمله بين يديه إلى حافة الماء ... وأحدث سقوط الرجل في المياه صوتًا واضحًا وهذا ما كان يريده «بو عمير» و«أحمد»، فقد أسرع الحارسان إلى مصدر الصوت وكلٌّ منهما يرفع مدفعه ثم انحنيا على جانب السفينة ينظران في الماء. وكان «أحمد» قد تَسلق جانب السفينة بعد «بو عمير» مباشرةً وانبطح وشاهد ما فعله «بو عمير»، وأحسَّ بالرضى الكامل عن تنفيذ «بو عمير» للخطة ... وجاءت اللحظة التي انتظراها، وهي انحناء الحارسَين على جانب السفينة، وبسرعةٍ وبقوةٍ ضرب «بو عمير» رأس أحد الحارسَين بقبضة مُسدسه وكذلك فعل «أحمد» بالحارس الآخر ... وقذفا بهما معًا إلى الماء!

ولأول مرة ألقيا نظرة على الجزيرة ... كانت جزيرة صغيرة على بُعد نحو ١٠٠ متر من الشاطئ ... كان هناك كوخ صغير هو الذي لجأت إليه العصابة وكان مُضاءً بضوء خفيف ...

قال «أحمد»: إنهم على مَبعدة منا ولم يسمعوا شيئًا.

بو عمير: بقيَ الحراس الذين يَحرسون المقصورة التي بها «إلهام» و«فهد»!

أحمد: أعتقد أنه حارس واحد ... فهو يكفي للسيطرة على الباب بمدفع رشاش!

بو عمير: وما هي خطتك؟!

أحمد: إن كل ما فعلناه يتوقَّف على اللحظات القادمة ... وهذا الحارس يجلس في دهليز وفي يده مدفعه الرشاش ... وأي حركة سوف تَلفِت انتباهه ... وسيطلق مدفعه وسوف يسمعون صوت المدفع ...

بو عمير: لو استطعنا أن نلفت نظره لحظة واحدة ... فسوف يتكفَّل «مرعش» بالباقي.

و«مرعش» هو خنجر «بو عمير» ... الذي لا يسير بدونه ... وهو يشبه في أهميته كرة «عثمان» المطاطة.

وفكَّر «أحمد» لحظات ... وكان الوقت يمضي بسرعة، وقد يَحضر أحد الرجال لأي سببٍ إلى السفينة ... والفجر كاد أن يبزغ ... وهو يُريد أن ينتهي كل شيء في الظلام.

وفجأة ابتسم «أحمد» وقال لـ «بو عمير»: سأنزل إلى مستوى نافذة المقصورة التي بها «إلهام» و«فهد» وأطلب منهما لفتَ انتباه الحارس لحظات، وعليك أن تقف في طرف الدهليز خلف الباب، فإذا شاهدته يتحرك من مكانه فاترك «مرعش» يقوم بالواجب.

وأسرع «أحمد» يتَسلق جانب السفينة فوق المقصورة مباشرةً بينما اتجه «بو عمير» إلى الدهليز ووقف خلف الباب يرمق بحذرٍ الحارس الذي كان مستندًا بظهره إلى الدهليز وعينه مثبتة على باب المقصورة.

نقَرَ «أحمد» على زجاج نافذة المقصورة الضيقة، وسرعان ما التفتَت «إلهام» إليه ... كان متشبثًا بحبل بيده، وبيده الأخرى أخذ يُشير لها، واستطاعت الفتاة الذكية أن تفهم ما طلب ...

تحدثت «إلهام» مع «فهد»، ثم تقدمت من الباب ودقت عليه، واقترب رجل العصابة من الباب وصاحت «إلهام»: إنَّ زميلي مصاب، ونُريد أن نَستسلِم!

فكَّر الرجل لحظات ثم قال: إذا كان معكما أسلحة فألقياها من الباب أولًا وبعدها سأصدر لكما أوامري بالخروج.

قالت «إلهام»: ليس معنا سوى مُسدس زميلي.

الرجل: ألقيه إذَن!

وفتحت «إلهام» الباب وألقت بالمُسدس في وجه الرجل الذي استدار ليتلقَّى المُسدس، وكان هذا ما يريده «بو عمير» بالضبط، وانطلق «مرعش» من يده كالبرق وأصاب هدفه بدقة ... رقبة الرجل الذي ترنح ورفع مدفعه ليُطلقه ... ولكن «فهد» كان أسرع منه؛ فقد قفز عليه وببساطةٍ انتزع منه المدفع، وسقط الرجل على الأرض.

أسرع «بو عمير» ينزع خنجره ... وتبادل الثلاثة تحية سريعة وقالت «إلهام»: أين «أحمد»؟

بو عمير: إنه على السطح يراقب العصابة ... هيَّا بنا.

وصعدوا جميعًا إلى السطح، وكان «أحمد» فعلًا يقف على السطح يرقب الكوخ المضاء ... وأسرعت «إلهام» إليه ووضعت يدها على كتفه فالتفت إليها، وأمسكت بيدَيه وأمسك بيديها ... ولكن «فهد» قال: ما هي خطوتنا القادمة؟

قال «أحمد» وهو يلتفت إليه: أظن أنها واضحة جدًّا!

قال «فهد»: فهمت!

إلهام: وأنا!

بو عمير: وأنا أيضًا!

وأسرع «بو عمير» يقطع الحبل الذي يربط السفينة بالشاطئ ... وقال «أحمد»: أظنك يا «فهد» متخصِّصًا في قيادة السفن ... وهذه سفينة صغيرة أو قارب كبير ... فهيا نَبتعد عن الجزيرة ... ولنترك هؤلاء العباقرة «بوزيل» و«مورج» ومن معهما يقضون إجازة طيبة في هذه الجزيرة المجهولة.

وأسرع «فهد» إلى مقصورة القيادة ... وأصبح «أحمد» و«إلهام» وحيدَين على سطح السفينة، وعادت أيديهما إلى العناق.

ملايين ... ملايين

كان الفجر يَبزغ على البحر عندما أدار «فهد» محركات السفينة ... وكان «أحمد» يدرك أن العصابة ... ستتنبَّه إلى ما يحدث بمجرَّد إدارة المحركات، فوقف هو و«بو عمير» و«إلهام» على الجانب المواجه للجزيرة وفي أيديهما المدافع الرشاشة وبعض القنابل اليدوية ...

ولم تكد المحركات تدور حتى فُتح باب الكوخ الذي نزلت به العصابة ... وعلى ضوء الفجر ظهرت أشباح تجري وتلوِّح بيدَيها ... وأطلق «بو عمير» سيلًا من طلقات الرصاص أمام الأشباح ... اضطرتهم إلى الوقوف ... ولكن أحدهم تَقدم سريعًا وهو يَصيح: انتظروا ... انتظروا ...

ولكن القارب استدار وأخذ يغادر الشاطئ ببطء ... واقترب الرجل ... وكان من الممكن لأيٍّ من «أحمد» أو «إلهام» أو «بو عمير» أن يُصيبه فورًا إصابةً قاتلة، ولكنهم اكتفَوا بإطلاق النار حوله فأخذ يتلوى جاريًا وكأنه يرقص ...

كان الرجل هو «بوزيل» وكان يصيح: انتظروا ... إنني سأدفع لكم مليون جنيه إذا انتظرتم ... إن النقود معي هنا!

لم يردَّ أحد، وأخذ الثلاثة ينظرون إليه ساخرين ... واقترب «بوزيل» أكثر ... وشجع اقترابه بقية أفراد العصابة فاقتربوا هم أيضًا، وبدأ بعضهم يُطلق مدفعه الرشاش ... وقال «بو عمير»: سأسمح لنفسي بالمران عليهم.

ثم وضع المدفع في كتِفه وبدأ يطلق الرصاص على أقدامهم. واقترب «بوزيل» أكثر، وكانت السفينة قد ابتعدت عن الشاطئ بعشرين مترًا، وأخذ «بوزيل» يخوض في المياه ويَصيح: سأدفع مليون جنيه ... مليونين ... هل تسمعون؟!

ردَّ «أحمد» بصوتٍ مرتفع: إننا نسمع بالطبع يا «بوزيل» ... ولكنك لا تفهم الحقيقة. إننا لسنا عصابة أخرى ... وإلا قبلنا المساوَمة!

بوزيل: خذوا المليونين ... بل ثلاثة ملايين واتركوا لنا السفينة وخذوا الطائرة!

أحمد: عرضٌ معقول جدًّا؛ وسوف نرسل لكم سفينة ولكن بعد يوم ... هل عندكم طعام يكفي؟

وضحك الأصدقاء ... وفجأة أخرج زعيم العصابة من حزامه قنبلة، واستجمع قوته ... وقبل أن يتمكَّن الأصدقاء من إصابته كانت القنبلة قد طارت في الهواء، وأصابت القارب إصابة مباشرة، وانفجرت فأحدثت دويًّا هائلًا ... وفي نفس الوقت كان «بو عمير» قد أصاب «بوزيل» بطلقة في كتفه تهاوى على أثرها في المياه، ثم وقف وأخذ يلوِّح بذراعه.

وكاد «بو عمير» يصيبه مرةً أخرى لولا أن «أحمد» أمسك بذراعه قائلًا: لنرَ ما حدث؟!

وأسرعوا إلى جانب السفينة ... كانت القنبلة قد أحدثت فتحة فوق مستوى الماء تقريبًا ولكن المياه كانت تتسرَّب إلى السفينة.

قالت «إلهام»: ستَغرق السفينة!

بو عمير: ليس الآن ... ربما بعد ساعتَين!

أسرع «أحمد» إلى «فهد» قائلًا: أطلق السفينة بأقصى سرعة ... إنها تغرق ونريدها أن تغرق بعيدًا عن الجزيرة.

فهد: وكيف سنتصرَّف نحن؟

ابتسم «أحمد» قائلًا: يبدو أنك ضعيف الذاكرة يا «فهد» ... هل نسيت الطائرة الهليوكبتر؟

وصعد «أحمد» إلى السطح مرةً أخرى، ثم قفز إلى الطائرة، ونظر في مُختلِف الأجهزة فوجد كل شيء على ما يرام ... وأن بها وقودًا يكفي للطيران ألف كيلومتر متصلة.

قال «أحمد»: إنني جائع ... وأمامنا أكثر من ساعتين حتى تغرق هذه السفينة الجميلة أليس من الممكن أن نأكُل يا «إلهام»؟

قالت «إلهام» مبتسمة: سأبحث عمَّا في المطبخ.

وأسرعت «إلهام» إلى المطبخ ... ونزل «أحمد» و«بو عمير» إلى الصالة التي كان بها «بوزيل» ... عندما خدعهما وألقى بهما في المياه، وأخذا يفحصان أرض الصالة ... وجدا بابًا سريًّا يفتح في القاع ... وحيث كان يجلس «بوزيل» وجدا زرًّا خفيًّا في جانب الكنبة التي كان يجلس عليها ... ومد «أحمد» يده وضغط الزر، وسرعان ما انفتح الباب السري ثم أغلق بسرعة البرق، ولم يصل إلى الصالة إلا قليلٌ جدًّا من ماء البحر.

قال «أحمد»: إن «بوزيل» ... زعيم عبقري ... فقد أعدَّ كل شيء لنجاح خطته ... شيء واحد لم يعمل حسابه.

بو عمير: ما هو؟

أحمد: شياطين الكهف السري أو «ش. ك. س» أو الشياطين الـ ١٣!

وجلسا في راحة ... وأقبلت «إلهام» تحمل صينية عليها كمية ضخمة من الساندوتشات الساخنة وأكواب الشاي.

وصاح «بو عمير»: إنكِ فتاة رائعة.

وذهب «أحمد» واستدعى «فهد»، وجلس الأربعة يلتهمون الساندوتشات ويشربون الشاي ...

وبعد ساعة كان الأربعة يركبون الهليوكبتر ... ويُغادرون السفينة ... التي بدأت تغرق، وبعد ساعتين ونصف كانوا يَهبطون في الجزائر ... واتصل «بو عمير» بقوات الأمن في الجزائر، وروى لهم القصة كاملة، وطلب إرسال قوة للقبض على العصابة في الجزيرة الصغيرة جنوب جزر «البليار».

في اليوم التالي كانت صحف العالم تتحدَّث عن القبض على عصابة «بوزيل»، واعترف «بوزيل» ... بكل شيء ... كان قد وضع خطته بالاتفاق مع «مورج» مدير البنك على أن يُعطيَه المدير الأرقام السرية لحسابات عدد كبير من الحكومات والأثرياء التي يَضعونها لأسباب مختلفة في بنوك سويسرا، ثم يتم سحب هذه المبالغ في نفس الوقت الذي تتظاهر فيه العصابة أنها خطفت «مورج» وتذهب العصابة إلى الجزيرة المهجورة وتقضي مدة كافية لينسى العالم المطاردة كلها ... على أن يعود «مورج» مدعيًا فقد الذاكرة إثر خطفِه وتعذيبه.

وتدخَّل القدَر ... فقد علم أحد أفراد العصابة بالخطة. وبالأرقام السرية، فهرب إلى بيروت وسحب مبلغًا ضخمًا بالرقم السري، فأسرعَت العصابة إلى بيروت وقتلته بالسم في حمَّام السباحة، ودارت عجلة الأحداث.

كان «أحمد» و«بو عمير» و«عبلة» و«فهد» و«خالد» و«إلهام» يجلسون في شرفة شقَّتهم الفاخرة في بيروت يقرءون الجرائد بعد أن أرسلوا تقريرهم إلى «رقم صفر» بكل ما حدث.

قالت «عبلة»: لقد حلَّت «ريما» رموز الأرقام والحروف بعد سفركم مباشرةً، وأرسل «رقم صفر» بالمعلومات إلى البنك السويسري حتى لا يَصرف من حساب هذه الأرقام شيئًا!

أحمد: لقد أرسلت إلى «رقم صفر» بعض المعلومات مع قائد الطائرة الهليوكبتر بعدما أوصلنا إلى قرب السفينة، وعاد إلى الجزائر ... فماذا فعلتُم بهذه المعلومات؟

ريما: للأسف، لقد سقطت به الطائرة وأُصيب إصابات مَنعَته من الحديث. ولكن الحمد لله أنه لم يَمُت.

أحمد: هذا يفسر لماذا لم تتحرَّكوا بعد أن أرسلت إليكم هذه المعلومات.

عبلة: وماذا كنا سنفعل أفضل مما فعلتم ... لقد أوقعتم بالعصابة في ساعات.

وفي تلك اللحظة دق جهاز اللاسلكي، وأسرع «أحمد» إليه ... كانت رسالة من «رقم صفر»: مرة ثالثة تُثبتُون أنكم شياطين حقًّا ... لقد قمتم بعملكم خير قيام ... وصحف العالم تصفكم بأنصار العدالة، ويتسابق الصحفيون لمعرفة حقيقتِكم وأسمائكم ... وهذا ما لا أريد حدوثه.

رد «أحمد»: لن يعلم أحد عنَّا شيئًا ... إننا أنصار العدالة، وليس أنصار الشهرة.

هنـــداوي